الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

الرقم التسلسلي:

1- رقم التسجيل:1435103001

2- رقم التسجيل:1439066862

مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماستر تخصص: أدب جزائري

بعنوان:

أدب المحنة وتجلياته

- رواية سيدة المقام لواسيني الأعرج أنموذجا -

إعداد الطالبين:

- يحيى ملكي
- بوبكر بلول

أمام لجنة المناقشة المكونة من السادة الأساتذة:

الرقم	اسم ولقب الأستاذ	الرتبة	الصفة
01	د. عبد الكريم معمري	أستاذ محاضر -أ-	رئيسا
02	د. عمار مهدي	أستاذ محاضر -أ-	مشرفا ومقررا
03	د. زكري بحوص	أستاذ محاضر -أ-	ممتحنا

السنة الجامعية: 2018- 2019م / 1439- 1440هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

"قل اعملوا فسيرى الله عملكم و رسوله و المؤمنون "

إلهي لا يطيب الليل إلا بشكرك و لا يطيب النهار إلا بطاعتك .. ولا تطيب اللحظات إلا بذكرك .. و لا تطيب الآخرة إلا بعفوك .. ولا تطيب الجنة إلا برؤيتك

و الصلاة و السلام على من بلغ الرسالة وأدى الأمانة و نصح الأمة

نبي الرحمة سيدنا محمد - صلى الله عليه وسلم -

إلى من كلله الله بالهيبة و الوقار إلى من علمني العطاء دون انتظار إلى من أحمل اسمه بكل افتخار أرجوا من الله أن يمد في عمره ليرى ثمارا قد حان قطافها بعد طول انتظار إلى الغالي أبي العزيز .

إلى قرة العين إلى معنى الحنان و التفاني إلى من كان دعاؤها سر نجاحي أمي الحبيبة.

إلى القلوب الطاهرة الرقيقة و النفوس البريئة إلى رياحين حياتي إلى إخوتي وأخواتي .

إلى إخوتنا الذين لم تلدهم أمهاتنا .. إلى الأصدقاء

إلى أساتذتنا الأفاضل

إلى كل من يعرفننا

إلى كل من يحمل اسمنا

نقدم هذا العمل

الحمد لله الذي أنار لنا درب العلم و المعرفة و أعاننا على أداء هذا الواجب ووفقنا إلى إنجاز هذا العمل لا بد لنا و نحن نخطو خطواتنا الأخيرة في الحياة الجامعية من وقفة نعود بها إلى أعوام قضيناها في رحاب الجامعة مع أساتذتنا الكرام الذين قدموا لنا الكثير باذلين جهودا جبارة في بناء جيل الغد لتبعث الأمة من جديد لذا نقدم أسمى آيات الشكر و العرفان لأساتذتنا الكرام ونخص بالتقدير و الشكر الأستاذ الدكتور عمار مهدي كما نقدم شكرنا لجميع من قابلناهم في حياتنا.

مقدمة

يعدّ الأدب –أيّا كان جنسه– صورة عن وعي مكتسب لدى الشّعوب، وعليه فهو فنّ يحمل في طيّاته تجارب الأمم عبر مختلف العصور، يغوص في أغوار المجتمعات، ويرصد جوانب الحياة فيها، ويختزل الآثار السّعيدة والأليمة، فهو تأسيس للماضي، وتوثيق للحاضر، وتطلّع للمستقبل، وفي هذا القبيل كان الأدب الجزائريّ رصداً لمختلف التّحوّلات التي عرفها المجتمع الجزائريّ منذ القديم إلى يومنا هذا، يتتبّع الوقائع والأزمات التي شهدتها، ولأنّ أشدّ أزمة عرفتها الجزائر كانت بدايتها سنة 1988م. فقد استقطبت هذه الأخيرة العديد من المهتمّين بمعالجة قضايا الواقع، ورسم صورة واضحة عن الوضعيّة المزرية التي عاشها المجتمع آنذاك، متّخذين بذلك الفرد الجزائري وقساوة المأساة؛ مادّة أوّليّة لتأسيس العديد من الأعمال الإبداعيّة الهادفة.

ويعتبر جنس الرّواية من أهمّ الأجناس التي صوّرت هذه المحنة تصويراً شاملاً، لمختلف شرائح المجتمع الجزائريّ، من إرهاب إلى مثقّف، وكذا حالات العنف والآهات التي عاشها الفرد الجزائريّ، والتي تسبّب فيها استعمار وحشيٌّ لا يعرف للإنسانيّة معنى. وبهذا فقد أسالت محنة التّسعينيّات حبر العديد من الأدباء، بل لقد أصبحت هذه المحنة مادّة حيّة للرّوائيّين، ومن أهمّ الأعمال الرّوائية التي رصدت تلك الظّروف، الرّواية التي هي موضوع بحثنا " **تجلّيات المحنة في رواية سيّدة المقام** ".

ومن أسباب اختيارنا لهذا الموضوع رغبتنا المُلحّة في تسليط الضّوء على فترة حرجة من تاريخ الجزائر، ورصد الآثار النّفسيّة المنجرّة عن أحداث العشريّة السّوداء، التي كانت بمثابة النّكسة للشّعب الجزائريّ عامّة، والتي لانزال نلمسها ونلمس آثارها إلى يومنا هذا. لنكشفَ من خلال هذه الدّراسة أحوالَ الشّعب الجزائريّ؛ ونستطلعَ وقائع تلك الفترة من منظور أدبيّ فكريّ.

فعمدنا إلى الاقتراب من النّصوص الأدبيّة الجزائريّة التي واكبت هذه المحنة، وميّزت بذلك أدب تلك الفترة عن سابقه، هذه المدوّنات التي لم يُولِها الدّارسون والنّقاد الاهتمام الذي تستحقّه.

وبما أنّ رواية التّسعينيّات الجزائريّة، قد عاصرت أزمة عاشها الشّعب الجزائريّ، فقد أُشيع عنها أنّها " رواية أزمة "، ومن دون شكّ أنّ هذا الأزمويّ المتنقّل عبر الأدبيّة، والسّرديّة على وجه الخصوص، من عصر الملاحم إلى عصرنا هذا، قد وجد في هاته الظّروف التّاريخيّة المتأزّمة من تاريخ الجزائر وروايتها التي واكبت تلك الأحداث المأساويّة، وجد مُناخاً مناسباً يبثّ فيها خطابه الرّوائيّ، ويشتغل على تحديد صياغة فنّية للشّكل الجديد المنتظر. كما أنّ المُلاحَظ عن الرّواية الجزائريّة في فترة التّسعينيّات تأثُّرها بالأحداث السّياسيّة والاجتماعيّة، فتشكّلت وظهرت بخصائص ومميّزات تجلّت فيها آلام المثقّفين، وناقشت مواضيع خطيرة، تعلّقت بالدّين والسّياسة والأخلاق والعنف...، **من هذا المنطلق جاء اختيارنا لرواية سيّدة المقام، كنموذج يشتمل على كلّ ما سبق.**

والمنهج الذي اتّبعناه في دراستنا هو **المنهج الوصفيّ**، حيث قسمنا بحثنا هذا إلى ومقدّمة وفصلين وخاتمة. مهّدنا بمدخل عن نشأة الرّواية الجزائريّة، وأهم المراحل التي مرّت بها، تلاه فصلٌ أوّل حول ماهية أدب المحنة، بيّنا من خلاله مفهوم أدب المحنة لغة واصطلاحا، ثمّ تطرّقنا إلى المحنة تاريخيّا، ومفهوم الإرهاب والأصوليّة والتّطرّف ثمّ مفهوم العنف، تلى ذلك مبحث ثالث حول المحنة وتجلّياتها في النّصّ الرّوائيّ. أشفعنا الفصل الأوّل بفصلٍ ثانٍ، مهّدنا له بمدخل حول واسيني الأعرج والرّواية الجديدة، أعقبه مبحث بعنوان مظاهر المحنة في " سيّدة المقام "، ومبحث بعده عن الرّواية والصّراع الأيديولوجيّ، وآخر أخير في الفصل حول عدّة تيمات اتّصفت بها رواية " سيّدة المقام " وهي؛ الإرهاب، صورة المثقّف، العنف في الرّواية، صورة الموت، ثمّ البناء الدّراميّ. أردفنا البحث بخاتمةٍ فيها أهمّ النّتائج المتوصّل إليها.

وعلى هذا الأساس اعتمدنا مجموعة من المصادر والمراجع أوّلها الرّواية **سيّدة المقام** كمصدر أساس، ومن بين الصّعوبات التي واجهتنا في بحثنا قلّة المراجع وقلّة الدّراسات التي تناولت هذا الموضوع حسب اطّلاعنا وفي حدود جهدنا.

لا يفوتنا أن نتقدّم بالشّكر للأستاذ المشرف الدّكتور عمّار مهدي، وأعضاء اللّجنة المناقشة.

الفصل الأوّل: ماهية أدب المحنة

أولا: نشأة وتطور الرواية الجزائرية

ثانيا/ مفهوم المحنة

ثالثا/ أسباب الأزمة وعوامل ظهورها

بات واضحا أن الرواية الجزائرية في هذه الفترة قد سلكت منعرجا كبيراً في المشهد الروائي الجزائري لأنها استطاعت بحق أن ترصد جراحات البطن الذات فعبّرت عن مشاعر الرعب والخوف وتجارب الاغتراب والمنفى كنتيجة حتمية في مواجهة الإرهاب والعنف الذي عانت منه الجزائر، وقد اتخذت هذه الرواية محنة الجزائر السؤال المركزي لمتنها الحكائي على ايقاع فضائها ومناخات إرهابها سواء داخل الوطن او خارجه في ما في الغربة عن الوطن[1].

فالأحداث الدموية التي شهدتها الجزائر في العشرية السوداء كان لها الأثر الواضح على موضوع الرواية الجزائرية في هذ الفترة وفي تحديد شكلها واتجاهاتها لا سيما وانها أكثر الانواع الأدبية التصاقاً بالواقع، والأكثر قدرة على تصوير هموم الذات لذلك كانت هذه الرواية التسعينية، كما يسميها إبراهيم سعدي "تحمل طابع التماثل والتشابه"[2] في تيماتها وموضوعاتها وحتى سيماتها ومميزاتها غير أن هذا لا يعني بالضرورة وحدة الموقف الايديولوجي بقدر ما يحيل على وحدة التجربة العامة للمجتمع المتمثلة في تجربة العنف كتجربة جوهرية وشاملة،[3] وعليه في أغلب موضوعاتها تتشابه إلى حد كبير، كونها أصبحت ظاهرة اجتماعية مشتركة.

1 بوشوشة بن جمعة : سردية التجريب وحداثة السردية في الرواية الجزائرية، المطبعة المغاربية للطباعة والنشر، ط1 تونس، 2005م، ص 78.

2 ينظر: إبراهيم سعدي، تسعينات الجزائر كنص سردي ، مقال منشور ضمن مجلة الملتقى الدولي السابع، عبد الحميد بن هدوقة للرواية والبحوث، ص 23.

3 المرجع نفسه، ص 24.

أولا: نشأة وتطور الرواية الجزائرية :

1-الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية :

إن لجوء الادباء الجزائريين إلى الكتابة باللسان الفرنسي ليس بالشيء الغريب، في زمن كان الاستعمار يركز على القضاء على مقومات الهوية الوطنية وعلى رأسها اللغة والثقافة الوطنية ومنع التعليم باللغة العربية وهذا كله دام أكثر من قرن والمستعمر هدفه القضاء على الشخصية الجزائرية ومحوها، ولكن صود الشعب الجزائري وتماسكه في محنته حال دون ذلك.

إذن، وجود أدب جزائري مكتوب بلغة المستعمر ليس مستغرباً، رغم كل هذا بقي المثقف الجزائري محافظاً على تقاليده وهويته ومدافعاً على قضيته حتى ولو كان اللسان الفرنسي هو أداة التعبير، فأبدع باللسان الفرنسي وأتقنه حتى احتل الادب الجزائري المكتوب بالفرنسية مكانة ملفتة، فحديثنا عن جنس الرواية نذكر العديد من كتبوا باللغة الفرنسية أمثال: مولود معري ومولود فرعون، كاتب ياسين، محمد ديب، مالك حداد، والذين تمَّ تشجيعهم من طرف المستعمر وتكريمهم لأعمالهم الأدبية اعتقادا بأنَّ الأدب الذي يكتبونه أدباً فرنسياً كونه مكتوب بلغتهم، هنا يتبادر إلى اذهاننا إشكالية هذه النقطة التي تتمثل في جنسية وهوية هذا الأدب الذي كتب بلغة فرنسية وموضوع وجروح جزائرية، هل الأدب الجزائري المكتوب بالفرنسية أدب جزائري قومي؟.

يقول "محمد ديب" إن كل قوى الخلق والإبداع لكتَّابنا وفنّانينا بوقوفها في خدمة إخوانهم المظلومين تجعل من الثقافة سلاحاً من أسلحة المعركة ... ولأسباب عديدة فإنني ككاتب كان همّي الأول هو أن أضم صوتي إلى صوت الجميع منذ اول قصة كتبتها[1].

وخلافاً لبعض الذين أخرجوا هذا الأدب من دائرة الأدب العربي نصّر على أنّه أدب جزائري، ما دام همّه الأول جزائري والفاع عن قضاياه والاستمالة من أجلها، ومادام اصحابه

1 باغي عبد الرحمان : البحث عن إيقاع جديد في الرواية العربيّة، دار الفرابي، بيروت، د.ط ، 1999 م، ص 105-106

جزائريون أصلاً ومنبتاً، فاللغة تمسي غير مهّمة، فهي في الأخير مجرد وعاء يحمل الأفكار، وقد قال "الجاحظ" قديماً : الألفاظ ملقاة على قارعة الطريق.

إذن، هذا الأدب الجزائري الروائي الي كتب باللغة الفرنسية هو أدب وطني قومي طالما أراد أن يكون سلاحاً من أسلحة المعركة، فقد استمد منها قوته وهو جزء من تاريخها.

ومن الأعمال الروائية التي ألّفها الأدباء الجزائريون وكتبت باللسان الفرنسي نجد ثلاثية "محمد ديب" "الدار الكبيرة" 1952 م، والتي تناول فيها الواقع الاجتماعي بعاداته وتقاليده، ونفس الشيء في رواية "الحريق" 1954م، رواية "النول" 1957م، والتي تناولت شريحة واسعة من المجتمع التلمساني أثناء الاستعمار(خاصة عمال الغزل والنسيج)، وكذا الروائي "مولود فرعون" برواياته "ابن الفقير" 1940م، والتي كانت حول حياة الفلاح الفقير الذي يشقى دون أن يحصل على مقابل نظراً لاستيلاء الغزاة على وطنه وارضه، ورواية "الأرض والدم" 1953م، والتي حازت على جائزة الأدب العربي الشعبي في فرنسا، وروايته الأخيرة "الدروب الوعرة" 1957م.

ونجد "مالك حداد" بروايته "رصيف الأزهار لا يجيب" 1961م، و"مولود معمري" برواية "الهضبة المنسية" 1952م، و"السبات العادل" 1952م، والروائي " كاتب ياسين" برواية " نجمة" 1956م، والتي تأثر فيها بتقيات السرد الروائي الغربي.

خلاصة القول هو أنّ الرواية المكتوبة باللسان الفرنسي ومضمون جزائري وتقاليد وعادات وروح جزائرية هي رواية جزائرية تصنف ضمن الأدب الجزائري كونها عالجت آلام وآمال الشعب الجزائري في فترة صعبة عاشها المثقف الجزائري الذي لم يجد أي طريق ووسيلة يعبّر بها عن أفكاره ويدافع بها عن وطنه الذي هو بأمس الحاجة إليه، وروحه الوطنية هي التي دفعته إلى ضمّ صوته إلى صوت الشعب والدفاع عن قضيته حتى لو استلزم الأمر الكتابة باللغة الفرنسية التي وجدها المفّر الذي يمكنه من إيصال كلمته كونه شريحة من شرائح المجتمع الجزائري وغيور عن وطنه.

2- الرواية الجزائرية المكتوبة باللّغة العربية :

رغم تأخر السرد الروائي الجزائري المكتوب باللغة العربية انطلاقاً من مسارها التاريخي عن نظيرتها في المشرق والمغرب العربيّن، بل نظيرتها ذات اللسان الفرنسي في الجزائر، فإنّه لا يكاد ينكر احد التراكم كامل في الرواية الجزائرية منذ منتصف السبعينات إلى اليوم مما أهلها كي تشغل مكانة ممّيزة في خارطة الإبداع الروائي والأدبي، الأمر الذي لفت إليها الأنظار قراءً ونقاداً فحفّزت هؤلاء وأولئك على اكتشافها قراءةً ودراسة.

يكاد يجمع جمهور الدارسين والنقاد على أنّ رواية "ريح الجنوب" 1971 لعبد الحميد هدوقة هي أول رواية جزائرية ناطقة بلسان الأمة العربية[1].

وككل فن، كان لها بدايات وجذور وإرهاصات، تمثلت في حكاية المساق في الحب والاشتياق لمحمد إبراهيم المدعو "الأمير مصطفى" كتبها سنة 1849م، وقد عثر عليها أبو القاسم سعدالله مخطوطاً بالمكتبة الوطنية وحققه وطبعه سنة 1977م، في حين يرى بعضهم أنها تبقى من المحاولات البدئية التي كان أصحابها يتحسسون مسالك النوع الروائي دون أن يمتلكوا القدر الكافي من الوعي النظري شرط ممارستها[2].

نتفق مع من يرى أنها تجربة نصية تشكلت من ذاكرة المتخيّل السردي العربي مع انفتاحها على مكونات التعبير الروائي.

أما "غادة أم القرى" 1947 "لأحمد رضا حوحو" فقد تحدث عن معاناة المرأة الجازية من الحرمان والقهرّ، وقد رأى أن المرأة الجزائرية لا تقل معاناة وبؤساً من المرأة الحجازية، لذلك راح يقدم لها هذا الكتاب، أما العمل الثالث الذي يرى فيه الدارسون أنّه من البذور الأولى للرواية الجزائرية المكتوبة بالعربية فهو "الطالب المنكوب" 1951م لعبد المجيد الشافعين وهي تصور رحلة طالب إلى تونس كان يؤدي به حب فتاة إلى الإغماء، بالإضافة إلى "الحريق"1957م لنور الدين بوجدرة و"صوت الغرام" 1967م لمحمد المنيع ، وهي

[1] عمر بن قيضة : في الأدب الجزائري الحديث، تاريخاً وانواعا وقضايا وأعلاماً، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط2 2009، ص 146.

[2] زهور كرام : الرواية العربية وزمن التكون من منظور سياقي.

أعمال لا يمكن اعتبارها أعمالا روائية لعدم اكتمالها الفني وسذاجة اللغة ونمطية الطرح ولا يمكن عدّ العملين الأخيرين إلا قصتين مطولتين ليس غير... لأن الرواية أكثر تفصيلا وأوسع نظرة وأشمل في الزمان والمكان[1].

وبالعودة إلى أول رواية جزائرية مكتوبة بالعربية "ريح الجنوب" لصاحبها عبد الحميد هدوقة 1971م، والتي يدور موضوعها حول تصوير العلاقات الاجتماعية في ضوء مؤسس الزواج القسري وحول صورة الريف الجزائري بعد الاستقلال و"نفيسة" بطلة الرواية وتزويجها هو الحدث الرئيسي فيها[2].

هذا وقد جرى الروائيون من بعد ابن هدوقة على نهجه وحاولوا فكتبوا الرواية متناولين النواحي الاجتماعية والايديولوجية، وقد جاءت بعدها رواية هامة تعتبر مؤسسة للفن الروائي الجزائري هي رواية "اللاز" للطاهر وطار 1974م، يمتاز القاص الروائي المعاصر باشتداد تصوره إزاء المسيرة التي تسيرها بلادنا نحو الاستقلال.

أما فترة الثمانينات فشهدت تطورا كبيراً في فن الرواية، ومزامنةً مع الاحداث التي تشهدها البلاد والظروف الاجتماعية القاسية التي يعيشها الفرد الجزائري والتيارات الايديولوجية والنظام الاقتصادي وغياب الأمن وانتشار ظاهرة العنف والارهاب، أتيحت الفرصة للراوي الجزائري الدخول في التجربة الجديدة ي الرواية، فصوّر الواقع الجزائري المعاش بمختلف شرائح المجتمع، وعلى ذكر هذه التجربة نجد روايات واسيني الأعرج "وقع الأحذية الخشنة" 1981م، و "اوجاع رجل غامر صوب البحر" سنة 1983م، كما كتب الحبيب السايح رواية "زمن التمرد" سنة 1985م، ورواية ط حمائم الشفق" 1988م، فجّل هذه الروايات تدور حول فلك وموضوع موحد وهو تصوير حياة المجتمع الجزائري من كل نواحيه.

[1] محمد مصايف : النثر الجزائري الحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983م، ص 117.

[2] عبد الحميد عقار: الرواية المغاربية، تحولات اللغة والخطاب، شركة النشر والتوزيع المدارس، ط1، الدار البيضاء، 2000م، ص 23.

وما يلفت النظر في هذه الفترة هو سعي الرواة الجاد حول الانخراط ضمن التوجه الجديد للرواية الجزائرية والتأثير بتقنيات ومكونات الرواية العربية والعالمية.

شهد عقد الثمانينات ظهور عدد مهم من الروايات ذات القيمة المحدودة فكريا وجماليا بسبب عدم امتلاك اصحابها عناصر الوعي والادراك الضرورية لفهم طبيعة التحولات الواقعة، وإدراك خلفية ما يعيشه من صراعات وتناقضات زمن الاستقلال، إضافة إلى عدم توفرهم على شروط الوعي النظري والممارسة الروائية، ولهذا جاءت نصوصهم الروائية باهتة على صعيد الكتابة، وساذجة في التعبير عن الموقف من واقع الجزائر في ميزة مناظر وصور تأزم متأنية من تهافت أشكال الممارسة السياسية للسلطة الحاكمة[1].

وما نلاحظه على كثير من هذه النصوص هو احتفاؤها بموضوع الثورة وتفجيرها، وقد تحقق الاستقلال من منظور ذاتي ضخم وعظمتها إلى حد اعتبارها أسطورة، ونرى الرجال الذين قاموا بها، وهذا ما تعكسه روايات "الانفجار" في سنة 1984م، و"هموم الزمن الفلاقي" في سنة 1985م، وطبيت الحمراء" 1986م، "الانهيار" سنة 1986م، ورواية "زمن العشق والأخطار" في سنة 1988م، و"خيرة والجبال" في 1988م لمحمد مفلاح، و"الصحبة" سنة 1984م لحيدوس رابح، وأخيراً "تتلألأ الشمس" سنة 1981م لمحمد مرتاض، وغيرها من النصوص الروائية التي أسهمت في تكريس إيديولوجية السلطة المهيمنة، وهذا الموقف الذي لم تلتزم به الكثير من التجارب الروائية، التي تناولت هي الأخرى ثورة التحرير والاستقلال وبعده ومن منظور نقدي، وهو ما عبرت عنه تجارب الطاهر وطار و واسيني الأعرج ورشيد بوجدرة وجيلالي خلاص والحبيب السايح وغيرهم من كتّاب الجيل الجديد[2].

لقد كانت فترة التسعينات حافلة بالروايات التي تحاول أن تؤسس لنص روائي انتجته بالواقع الاجتماعي الذي شكّل الأرضية التي استطاع من خلالها الروائيون أن يستعملوا

[1] بن جمعة بوشوشة : سردية التجريب وحداثة السردية في الرواية العربية الجزائرية، المطبعة المغاربية للطباعة والنشر، تونس، ط1، 2005، ص 07.

1 إدريس بودبية: الرؤية والبنية في روايات الطاهر وطار ، منشورات جامعة منتوري ، قسنطينة، ط1، 2000م، ص 39-41.

الأحداث والشخصيات من الظرف التاريخي الصعب الذي مروا به، وما تردد في روايات التسعينات تصير وضعية المثقف الذي وجد نفسه سجين بين نار السلطة وجحيم الإرهاب سواءا أكان أستاذاً أو كاتباً أو صحفياً أو رساماً أو موظفاً، لأنهم يشتركون جميعاً في المطاردة والتخفي وهم يشعرون دوماً أن الموت يلاحقهم[1].

بعد الأزمة التي قصفت بالمجتمع الجزائري خلال السنوات الماضية، والتي مسّت كل طبقات المجتمع، أخذت الرواية منعرجاً آخر وعالجت موضوع الأزمة وآثارها فاتخذت من المحنة الجزائرية مداراً لها، فمعظم روايات هاته الفترة تعاطت موضوع العنف السياسي وآثاره اجتماعيا واقتصاديا وثقافياً، حيث يلتقي الطاهر وطار في "الشمعة والدهاليز" مع واسيني الأعرج في "سيدة المقام" في البحث عن جذور الأزمة وفضح الممارسات التي تبعتها، كما جسدها آخرون كإبراهيم سعدي في "فتاوي زمن الموت"، ومحمد ساري في "الورم" وبشير مفتي في "المراسيم والجنائز"[2].

وخلاصة القول، هكذا كان تطور ونشأة رواية الجزائرية من الإرهاصات الأولية لانطلاقتها، إلى ظهور الرواية المكتوبة بالفرنسية بالموضوع والروح الجزائرية في زمن الاستعمار، ثم رواية التجريب في السبعينات مع عبد الحميد هدوقة برواية "ريح الجنوب" 1971م، والتي عدّها الأدباء بأنها الانطلاقة الرسمية للرواية الجزائرية المكتوبة باللغة العربية ، ثم تطور لرواية تطوراً ملحوظاً حتى وصلت العالمية مع فترة الثمانينات وتجسيدها للواقع الجزائري المعاش، وظهور العديد من الرواة بأعمالهم الأدبية المستوحاة لموضوعها من الازمة التسعينية أمثال واسيني الأعرج والطاهر وطار وأحلام مستغانمي وغيرهم.

3-إشكالية المصطلح :

تعتبر الفترة التسعينية من أهم الفترات التي عاشها المجتمع الجزائري وذلك للظروف التي شهدتها الجزائر من إرهاب وعنف، والذي خلف وراءه مجازر عديدة، ومعاناة مختلف

[1] حسين خمري : فضاء المتخيل مقاربات في الرواية ، منشورات الاختلاف ، ط1، 2002م، ص 111.

3 آمنة بلعلي : المتخيل في الرواية الجزائرية من المتماثل إلى المختلف، دار الأصل للنشر والتوزيع، د ط ، د ت ، ص 316 .

شرائح المجتمع من مثقفين إلى مسؤولين في الدولة وغيرهم من المواطنين ذوي الطبقة الكادحة، وهذا ما انعكس على الأدب الجزائري في موضوعاته، حتى أصبح هذا الأدب بأجناسه النثر والشعر مرآة للواقع الجزائري المعاش، وسميت بذلك تلك المعاناة والأوجاع التي قهرت الأمة الجزائرية في زمن اختلفت الآراء حول تسميته فسمّوه "العشرية السوداء" وذلك للظلام الذي دخل في المواطن الجزائري من إرهاب وغياب للأمن، وسمّي "فترة الأزمة" وذلك للأزمات التي شهدتها شتّى القطاعات من سياسة واقتصاد وثقافة وأمن، وسمّي ب"فترة المحنة" لمحنة المجتمع الجزائري ومعاناته.

ولقد شاع موضوع "العشرية السوداء" فظهر إثر ذلك الكثير من تجارب الكتابة، كالقصة القصيرة والشعر والرواية، وعُرف هذا الأدب ب "الأدب الاستعجالي" نظراً للظروف التي خلفتها تلك الأزمة، وهذا مفهوم رددته الفرانكوفونية فيقول جعفر يايوش : { لقد أطلق البعض من زملائنا الأدباء، والباحثين الجامعيين، على التابة الأدبية في الفترة الممتدة ما بين 1990م إلى 2000م اصطلاح كتابة المحنة أو كتابات الاستعجال}[1].

ولقد أصدر الروائي واسيني الأعرج عدة اعمال أدبية تناول فيها ظاهرة الإرهاب والقمع الذي شهدته الجزائر، فيرى: { أن ذلك الأدب توثيق لما حدث في فترة – العشرية السوداء– كما حصل مع الأدباء الأوربيين خلال الحربين العالميتين }[2].

فواسيني الأعرج لم يذكر مصطلح "الأدب الاستعجالي" وسمّاها بـ "العشرية السوداء" وصوّرها ووثقها المثقف الجزائري في لوحة أدبية.

وهذا ما رفضه مؤسس الرواية الجزائرية الروائي "الطاهر وطار" فرفض مصطلح "الادب الاستعجالي" والذي لم يناسب تلك الأعمال التي كانت تصويراً لأهم مرحلة عاشتها الجزائر وظروف قاسية، والتزامه بالقضية الوطنية حسب رأيه.

---

[1] عبد الله شطاح . مدارات الرعب (فضاء العنف في روايات العشرية السوداء) ، مطبعة ألف للاتصال والإشهار، الجزائر، 2014، ص 142.

[2] فايزة مصطفى، مقال الأدب الاستعجالي يعود إلى الواجهة ، جريدة الأخبار ، 2001م ، ص01 .

{والأدب الاستعجالي مصطلح زائف وخادع، ولا ينطبق في الواقع إلا على بعض النصوص التي قفز أصحابها بالمظلات إلى مملكة الرواية محاولين كسب صفة "روائي" بأرخص الطرق وأسهلها وهم في الحقيقة لا يتمتعون بأي مواهب إبداعية}[1].

أما بالنسبة لمصطلح أدب المحنة كما يسميه بعض النقاد والدارسين هو الوجه الآخر لمحنة الكتابة وذلك حسب ما يرى "أحمد منور": بأن مختلف الانتاجات الأدبية من 1990 إلى 2000 سميت بأدب الأزمة نظراً للأزمة التي مرت بها البلاد[2].

ويأتي أدب المحنة مرادف لمحنة العقل والروح والثقافة والوطن، ولعلّنا نجد هذا المصطلح لا يؤدي المعنى الحقيقي لمأساة الوطنية المكتوبة باللغتين العربية والفرنسية مرآة عاكسة لما فعله الإرهاب من ويلات وجرائم لا إنسانية.

ويرى عبد القادر رابحي : أن الروايات التسعينية عبارة عن ردود استعجالية على مرحلة تبدو في ذهن الكثير منهم أنها استعجالية غير أن الحقيق التاريخية تثبت أنها أخذت الوقت التاريخي الكافي والأرضية المؤرقة الضرورية للنمو الطبيعي في أحضان مساحة النسج الأحادي لتباشر الأزمنة القادمة.[3]

ثانيا/ مفهوم المحنة :

1- لغة : جاء في لسان العرب معنى محن المحنة الخبرة، وقد امتحنته ، وامتحن القول أي نظر فيه ودبره التهذيب، أنّ عتبه بن عبد السلمي وكان من أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلّم، حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :{ القتلى ثلاثة رجل مؤمن جاهد بنفسه وماله في سبيل الله حتى إذا لقي العدو قاتلهم حتى يقتل فذلك الشهيد الممتحن في جنة الله

[1] عامر مخلوف ، الكتابة لحظة حياة ، مقالات في القصة والرواية والشعر ونقد النقد ، دار الحكمة ، الجزائر ، ص 28.

[2] فايزة مصطفى ، مرجع سابق ، ص 01.

[3] إيديولوجية الرواية والحس التاريخي (مقاربة سجالية للروائي مقتنعا ببطله عبد القادر رابحي، في الأدب والايديولوجية في رواية التسعينات)، ص 62.

تحت عرشه} من محنت الفضّة غذا صفيتها بالنّار وروي عن المجاهد في سبيل الله،[1] وفي قوله تعالى: {{إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ عِندَ رَسُولِ اللَّـهِ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّـهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ }} الحجرات [03][2]

وقال أبو عبيدة امتحن الله قلوبهم صّفاها، هذبها، وقال غير الموطأ المذلّل وقيل معنى قوله تعالى شرح الله قلوبهم كأن معناه وسّع الله قلوبهم للتقوى، وامتحنته بمنزلة خبرته واختبرته وبلوته وابتليته، وأصل المحن الضرب بالسوط وامتحنت الفضة إذا أذبتها لاختبرها والاسم المحنة، والحن العطية واتيت فلانا مما منحني شيئا وفي الحديث الشعبي المحنة بدعة، قال ابن جني محونته عارة وتباعته يجوز أن يكون مشتقا من المحنة لأن العار أشد من المحن وامتحنت الكلمة أي نظرت إلى ما يصير صيورها، والمحن النكاح الشديد ومحنه عشرين سوطاً ضربه ومحن السوط لينه، ومحنت البئر أخرجت ترابها وطينها، وجلد يمتحن مقشور.[3]

أما المعجم الوسيط : فلان محنه خبره وجبره، فاشتد في تعذيبه ومحن الفضة خلصها وصفاها بالنار، والأديم لينه ومدّه حتى وسعه، فلان وقع في محنة فهو ممحون.

امتحن فلان اختبره، والشيء نظر فيه ودبره.

الامتحان : الاختبار والابتلاء.

المحنة : البلاء والشّدة جمعها محن[4] .

2- اصطلاحا : وما نلاحظه أن الشروح اللغوية قربت بين المعنى اللغوي والاصطلاحي لمصطلح "المحنة" وساعدتنا على كشف المعنى الاصطلاحي لها الذي يصّب في الشّدة

[1] أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور : لسان العرب، باب الميم، مادة محن ، جزء 14، دار صادر ، بيروت ، 2003م ، ص 4150.

[2] القرآن الكريم ، سورة الحجرات ، الآية 03.

[3] أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ، مرجع سابق ، ص 4150

[4] إبراهيم أحمد الزيّات وآخرون : معجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية ، باب الميم ، مادة محن، ج 3، مكتبة المشكاة الإسلامية ، ص 526.

واختبار الانسان وابتلاؤه وتمحيص في دينه أو نفسه أو ماله يعرف بها صبره من عدمه من خلال هاته المحنة ،فإذا حلّت به وقعت عليه كالنار.

وقد تكون هاته المحنة شّدة أو ابتلاء لمجتمع ما تتغير ظروفه التي كان يعيشها في حالة الاستقرار إلى اللااستقرار والفوضى، ويسود فيه قانون لم تألفه الأمة سمّي قانون الغابة والغلبة للأقوى[1].

والملاحظ أن كلمة المحنة لها العديد من المرادفات : الأزمة، المأساة، النكسة،... وقد شهد العالم عدة أزمات في تاريخه وهي الأزمة الاقتصادية لأن الأزمة مرتبطة أساسا بالناحية الاقتصادية ... وقد تكون على الصعيد السياسي مثلما ما نشهده في مختلف بلدان العالم وتسمّى بالأزمة السياسية.

الجزائر لم تسلم من هاته الأزمة خاصة السياسية والأمنية منها، بحيث أضحت مسرحاً خصباً لها وللإرهاب والقتل والجريمة، لذلك لم تكن الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة العربية بعيدة عن تيارات الأزمات حيث حاورت مظاهر الأزمة والمحنة بأساليب مختلفة، تحول اهتمام جّل الكتاب إلى التعبير عن الحالة الراهنة والأزمة المستعصية والمتشعبة، وكان لتضخم مناخات الإرهاب واحتداد المحنة دور في ظهور شكل روائي جديد أطلقت عليه تسميت رواية المحنة ليتخذ من الأزمة والمحنة الجزائرية سؤالا مركزيا لمتنها الحكائي تتوالد منه تيمات الموت والعنف والإرهاب والرعب [2].

وهي تيمات جديدة وسمت الرواية الجزائرية بمناخات المحنة الفاجعة والمأساة ليبقى السؤال المركزي لأغلب النصوص الروائية التي ظهرت في هاته المرحلة، والتي تدور في فلكه كل الأمثلة بتعلق سؤال المحنة والأزمة، وتحولت الثنائية من أزمة الأدب إلى أدب الازمة أو أدب المحنة، عندما نسمي هذا الأدب الجديد بأدب المحنة ليس بالضرورة بأن

1 عبد اللطيف جنّي ، الرواية الجزائرية بين الأزمة وفاعلية الكتابة ضمن أعمال الملتقى الوطني الثاني في الأدب الجزائري، بين الخطاب ووعي الكتابة 2009م، دار هومة، ص 209.

[2] حفناوي بعلي : هجس الحداثة وإشكالية العنف في رواية جيل الأزمة ، في مجلة الملتقى الدولي الثامن للرواية ، عبد الحميد بن هدوقة ، 2004، ص 123.

يتناول بصورة واضحة للأزمة بل تفاعله مع إفرازاتها والوضعيات المختلفة التي أنتجتها وانتجت أناسها وسلوكاتها وذهنياتها الجديدة [1].

[1] المرجع نفسه ، ص 126.

3- المحنة المرحلة التاريخية وتجلياتها في النص الروائي:

عندما نقول الأزمة أو المحنة فإننا نقصد بها ظاهرة الإرهاب بكل أبعادها وما نتجت عنها من جرائم شنيعة، لذلك يقال انه في القلوب والعقول قد يعادل وقع الثورة التحريرية إن لم يفته، فرغم الجرائم التي يقترفها وفضاعتها ودرجة وحشيتها إلاّ أنّ كل هذا لم يكن عائقا في وجه من أراد أن يأخذ هذا الواقع على صفحات من ورق، بل إن نقله هو الذي يفرض على الكاتب حالة من الحضور يصعب على الكاتب أن يتنصل منها.

إن الإشارة إلى ظاهرة الإرهاب في الكتابة الروائية بدأت منذ السبعينات وجاءت بشكل صريح في رواية الطاهر وطار "العشق والموت في زمن الحراشي" فهذه الرواية تصور ذلك الصراع الذي كان من حركة الاخوان المسلمين الذين كانوا يعادون التوجه الاشتراكي، وبين المتطوعين لصالح الثورة الزراعية والذين كانوا مدعومين سرّيا من طرف الطليعة الاشتراكية[1]، فكان المتطوعون يحرصون على إنجاح الثورة بينما يسعى مصطفى وجماعته الإخوانيين للوصول إلى مبتغاه وهو إلقاء خطبة في المسجد.

فالجماعة الإخوانية جعلت من الدين وسيلة أساسية يحكم على خصوصياتها باللغة والاتحاد بينما هم يرون العكس، يرون أنهم فقط من يحملون بجنة خضراء ينعمون فيها وحدهم "لا يبقى سوى نحن في جنة خضراء عرضها السموات والأرض، ربّ لا تذر في الأرض من الكافرين دياراً إنك ان تذرهم يضلوا عبادك ولا يلدوا إلا فاجراً كفارا".[2]

فالطاهر وطار في عمله هذا كان صريحا ويرصد وقائع سائدة في تلك الفترة، يرصد خطابا سياسيا واضحا، فقد بيّن الحيل الممكنة عندما يستعمل الدين لأغراض سياسية وعندما

[1] عامر مخلوف ، مرجع سابق ، ص 28.

[2] الطاهر وطار ، العشق والموت في الزمن الحراشي – الكتاب الثاني– ، دار الرشد للطباعة والنشر ، ط1، سنة 1980م، ص 131.

تلبس ثوبا دينيا، وبذلك يختلط الحابل بالنابل وينتهون بالتالي إلى ممارسة العنف، ينقلون من استعمال المصحف إلى استعمال الديناميت[1].

وإنما تشكل نتوءات يصطدم السيل بها ويتعثر، ولكنه لا يلين ولا يتوقف، والقارئ يشعر بهذا الاصطدام لان بوجدرة عمل على ان يندمج في النص ذاتيا وقد يزعزع الخبر كيانه ويفسد عليه التمتع بالقراءة، ولكن قد يستمر في القراءة لان ما يشده إليها أقوى من خبر عابر، ولو كان فضيعاً ولو كان مكتوبا بخط أسود بارز.[2]

فالسوداوية انطلقت من الواقع المعاش إلى النص الأدبي، فكان تجسيدها دلالة على عمق الجرح في النفوس.

4- الشمعة والدهاليز للطاهر وطار:

هي رواية لا تختلف عن صاحباتها في طريقة تناول الأزمة الوطنية في ثنايا أسطرها، الشمعة والدهاليز رواية جسّدت عدة مشاهد من تسعة فصول غلب عليها مشهد العنف والمنفى واللا أمن والإرهاب.

في العنوان الفرعي الأول "دهليز الدهاليز" نجد أن التركيب هنا ليس مجرد مضاف ومضاف إليه بل يحمل دلالة قوية تعني أني أكبر الدهاليز أو أصل المحنة وجذر المشكلة.

في دهليز الدهاليز نتعرف على الشاعر الاستاذ بمعهد الحراس يسمع صخبا في الشارع وأهازيج تردد شعار الحركة الاسلامية المشهور "عليها نحيا وعليها نموت وعليها نلقى الله" وإذا بمجموعة من قادة الحركة يستولون عليه بعد خروجه، وتنشأ بينه وبين احدهم "عمار بن ياسر" علاقة خاصة يسعى هذا الأخير بإقناعه وتجنيده، بينما لم يستطع هو أن يتخذ موقفاً حاسماً مما جرى.

ومن خلال منولوج مطّول يعود بذاكرته إلى الوراء، يستحضر ماضيه فتعرف مراحل حياته منذ أن كان تلميذاً في مدرسة الميلية إلى ان التحق بمدرسة الفرنكو- مسلمان في

[1] عامر مخلوف ، مرجع سابق، ص 305.

[2] المرجع نفسه، ص 311.

قسنطينة، وقد تميّز منذ صغره بوطنية حادة وميله غلى المطالعة الكثيرة والمتنوعة وكذا دفاعا عن اللغة العربية.[1]

أما في الفصل الثاني المرسوم الشمعة، فيه يلتقي هذا الأستاذ بالفتاة التي تصبح فارسة أحلامه، الخيرزان التي تنجذب إليه ولكن اللقاءات المباشرة تتناقض شيئا فشيئا إلى أن تنتهي العلاقة بينهما وتعلو عن الحوار.

وتتجه اتجاها تصوفياً روحياً، فإذا هي بالنسبة إليه صورة تستعصي عن الوصف في التحديد وإذا هو يخيل إليها ولياً من أولياء الله الصالحين.[2]

هي شمعة مضيئة وسط الدهاليز المظلمة، وهي الخيرزان هذه المرأة البربرية التي تمثل إنما لتمكن غبنها الآخر من استيلاء العرش، وكأنها أيضا صورة الجزائر في محنتها تأكل أبناءها ليتناوب على حقها أبناؤها.[3]

ليته المرء في دهاليز كثيرة ومختلفة، يسرح في الماضي والتاريخ وينقل إلى الحاضر أو الواقع ينتابه القلق النفسي وتحيره الأسئلة الفكرية والممارسات السياسية، وكثيرا ما يجتهد في فك الغازها ويخرج بلا طائل، وكل دهليز يقضي به إلى دهليز.[4]

أما المشهد الإرهابي الموجود في الرواية فهو يظهر عندما اختار الأستاذ الشاعر أن يعيش وحده في بيته أعزب، مثله الأعلى في حياته أن يعيش لوطنه وكتبه ولمن هم مجموعة من الملثمين يقتحمون منزله ويحيطون به فجأة ويوجهون له تهما ليحكموا عليه بالإعدام، وقد اختلفت التهم حسب الرواية باختلاف السائلين، فمنهم من ظهر من جهاز الاستخبارات، وسائل آخر ظهر وكأنه من الأصوليين المتطرفين وسائل آخر أدار وجهه لحزب فرنسا ومن اتباعها والموالين لها، كما يوصف في الخطاب السياسي، بعدها انقض عليه الملثمون بخناجرهم فنهشوا جسد البريء فاصبح جثة هامدة.

---

[1] عامر مخلوف، مرجع سابق، ص 311.

[2] المرجع نفسه ، ص 312.

[3] المرجع نفسه ، ص 312.

[4] المرجع نفسه ، ص 312.

نهاية الرواية لا ترد العملية الإرهابية إلى جهة محدودة ولا تردها خاصة غلى الحركة الأصولية كما هو سائد، بل إن إطفاء شمعة المثقف الوطني الرمز يعود إلى عدة أطراف وكأن هذه الأطراف التي تبدو خير نسقية ليست إلا تنوعات على وتر واحد هو العنف ظاهره اختلاف وباطنه اتفاق.[1]

وعلى خلاف رواية الطاهر وطار كانت رواية "عقبات في طريق تيميمون" ل "رشيد بوجدرة" تسير في نفس الموضوع، التي صدرت عام 1994م والتي جعلت من الأزمة الجزائرية موضوعاً يتناقل بين صفحاتها، تيميمون الرواية جولة طويلة عبر الصحراء الشاسعة، الرحلة وسط رمال الصحراء، وتحت السماء الصافية، حيث لا يبقى سوى الكاتب مه هواجسه وحواراته الداخلية لكن هيهات أن يدوم هذا الفضاء، هيهات أن تدوم تلك الهواجس، كيف لا وأخبار الموت تصله مسموعة ومكتوبة وهو الذي ظنَّ أنه بعيد عن صخب الارهاب، وهو يفتح المذياع فإذا به يسمع خبراً مفجعاً، اغتيال الأستاذ بن سعيد هذا الصباح في الساعة الثامنة بمنزله من طرف عصابة إرهابية من الإسلاميين ذلك بمرأى ابنته البالغة عشرين عاماً.[2]

إنّ الذي اغتيل هو الأستاذ رمز التربية ومصدر العلم، والارهاب يصوب رصاصة نحو أهل العلم والتنوير ليفرض حالة من الظلامية، ثمّ إنه يغتال أمام ابنته بلا رحمة وشفقة إشارة إلى ما يمكن أن يصل إليه العمل الإرهابي من فظاعة ووحشية.

يتواصل سيل المتابة صفحات أخرى، ويستحضر الآلام والآمال إلى أن تصل الجرائد بالطائرة فيقدمها لصاحب الفندق ليقرا في إحداها ما يلي:{ تسبب انفجار قنبلة وضعها الاصوليون في مطار الجزائر العاصمة في مجزرة خلّفت تسعة قتلى وأكثر من مائة جريح جّلهم في حالة خطيرة}. [3]

[1] عامر مخلوف، مرجع سابق، ص 312.

[2] رشيد بوجدرة ، عقبات في طريق تيميمون ، دار الاجتهاد، 1994م، ص 27.

[3] رشيد بوجدرة، مرجع سابق، ص 27.

في هذا الخبر اختلفت طبيعة السلاح المستخدم إنها قنبلة وحددت الجهة القاتلة بأنهم أصوليون، ثمّ لم تعد الاغتيالات فردية بل أصبحت مجازر جماعية ومروّعة، إذا قلنا سابقا عقبات في طريق تيميمون، فلأن طريق تيميمون الحقيقي هو طريق الكتابة الروائية، وفي هذا الطريق يخلو الكاتب إلى نفسه ويسرح بذاكرته في الماضي وفي الطبيعة البشرية مندمجا فيما يكتب بعلاقته الذاتية الموضوعية ولا يقطع عليه حبل التفكير والتداعي إلى هذه الأخبار التي تصله مسموعة ومكتوبة.

وهو عندما يثبتها على جسد النص الروائي بلون أسود قاتم واكثر بروزا فلأنها الأحداث التي تميّز الساحة، ولأنها بالقياس على ما عداها في النص تمثل بقعاً سوداء من الحزن والقتامة والظلام.[1]

ونجد العديد من الأعمال التي صوّرت الأزمة الوطنية، والتي ركّزت على مكانة وموقف المثقف الجزائري في هذه الفترة العصيبة ومن الأعمال : أحلام مستغانمي برواية "ذاكرة الجسد"، جيلالي خلاص "عواصف جزيرة الطيور"، أحمد عياشي "متاهات ليل الفتنة" وغيرها، فلقد عنى معظم الأدباء بموضوع المثقف، كما حرص الكثير منهم على اعتباره بطل الرواية، ونجده من أهم المواضيع التي اهتمت بها الرواية الجزائرية، فالمثقف حاضر وبقوة في الرواية التسعينية، حيث يلعب دوراً للبطل أو الراوي ففي رواية أحلام مستغانمي "ذاكرة الجسد" نجد الراوي "خالد" هو البطل مبدع في الرسم، متعلق بلوحاته، والذي يعيش حصرة بين الماضي والحاضر.

نجد كذلك شخصية "حسان" المعلم الذي كان يحلم بأن يعيش حياة رخاء والذي تغتاله مجموعة إرهابية ويموت بالجزائر العاصمة.

ويختار الروائي رشيد بوجدرة في رواية "الجنازة" ضابطاً في الشرطة العلمية "سليم" "سارة" في فرقة مكافحة الإرهاب، وأن معظم الروايات تتعرض بطريقة ما، لوضعية المثقف سواء كان أستاذاً أم كاتباً أم صحفياً أم رساماً فإنهم يتشاركون جميعاً في المعاناة والمطاردة.[1]

[1] عامر مخلوف، مرجع سابق، ص 308.

وفـي روايـة وادي الظـلام "أحمـد" وهـو الشخصـية البطلـة للروايـة، والـذي يلعـب دور المعلم المثقف، فيحارب الجهل والظلام.[2]

إن شخصية المثقف في الرواية الجزائرية تمثل المكانة العالية والراقية في المجتمع، كما أنها الشخصية الفطنة والمقتاد بها لما لها من قوة وتأثير في الواقع المعاش، وهذا المفهوم طرحه "غرامشي" يضعها أمام نوعين من المثقفين، مثقف متخصص وآخر عام، أما المتخصص فهو الذي ينتمي بمهنته غلى حقل إنتاج المعرفة والتقنية بشكل مباشر، ويدخل في هذا الإطار المفكرون والأدباء والمبدعون والعلماء... أما المثقف العام فهو ذلك الذي يرتبط مهنته بالإنتاج اليدوي كالعمال والفلاحين.[3]

ونلاحظ أن المثقف التسعيني يلعب دورا هاماً في الرواية، وتحريك أحداثها سواء كان مثقف متخصص أو مثقف عام رغم كل الاضطهاد والعنف الذي عاشه كما يمثل في نظر الجماعات الارهابية الخطر في المجتمع وذلك راجع لفطنته ولثقافته، ولهذا يتم استهدافه بالقتل والاغتيال، فنجد في كل الروايات اغتيال المثقفين الجزائريين واحتكارهم، إضافة إلى ذلك نجد الروائيون يجسّدون المعاناة والواقع الأليم للمثقف فاصبح بذلك متأثراً بالأفعال الدموية التي عرفتها البلاد، فتحركت فيه روح الكتابة.

ثالثا/ أسباب الأزمة وعوامل ظهورها

لا يمكن أن نتحدث عن الأزمة الجزائرية أو نحدد أسبابها وأبعادها دون أن نبيّن أن الأمر كان خطيراً أدى إلى دفع البلاد إلى ساحة الحرب الأهلية،[4] وهي الفترة العصيبة في

1عامر مخلوف ، واقع الرواية من رواية الواقع ، الأدب الايديولوجي في رواية التسعينات، أعمال الملتقى الخامس للنقد الأدبي في الجزائر، 2008م، ص 77.

[2] عبد المالك مرتاض ، واد الظلام ، دار الغرب ، ط1، وهران– الجزائر ، 2005م، ص 96.

[3] أمين زاوي ، صورة المثقف في الرواية المغاربية المفهوم والممارسة، دار راجي، 2009م، ص 25.

[4] ابن منظور : لسان العرب ، ج 10 ، ط3، دار صادر ، بيروت، 2004م، ص 303،

تاريخ الجزائر المعاصر التي وسمت بسمت الإرهاب والحرب والعنف، وكذلك كان شأن الجزائر، وقبل الوقوف على أبرز محطات الأزمة التي عرفتها الجزائر رأينا أنه من الضروري أن نتوقف عند المصطلحات التالية لما لها من أهمية في هذا العنوان :

آ- **الإرهاب** :يعد مفهومه الأصولية ، التطرف.

ب- العنف: لغة : جاء في لسان العرب ، عنف : الحزق بالأمر وقلّة الرفق، الشدة والقساوة.[1]

اصطلاحا : هنالك عدة تعريفات منها .

العنف بضم العين : معالجة الأمور بالشدة والغلظة .

أما التعريف العلمي فالعنف يعني استخدام القوة استخدامنا غير مشروع أو غير مطابق للقانون.

وهو صورة خاصة من صور القوة التي تتضمن جهودا تستهدف تدمير أو إيذاء موضوع يتم إدراكه كمصدر فعلي أو محتمل من مصادر الإحباط.

فالعنف رغم اختلاف مفاهيمه إلا أنها تتفق على أنه يستخدم القوة والشدة ماديا ومعنويا، وهو ظاهرة عرفتها جميع المجتمعات وهو إلحاق الأذى بالأشخاص والممتلكات ، وقد عرفته الجزائر على نطاق واسع خلال التسعينات، هو ما وسّم بالعنف السياسي عند البعض والعنف الاسلامي عند البعض الآخر بداية من أحداث أكتوبر 1988م دخل الشعب الجزائري في دائرة العنف والارهاب.

1- ماهية الإرهاب :

أحداث صادمة هنا وهناك، ما لا يرهب منها بالقتل والتدمير، يرهب بالفقر والبطالة والجوع، احداث تتداخل في الأزمات السياسية مع المصالح الاقتصادية والتنافرات العرقية ويختلط ويتنافس الإنتماء الوطني مع الهوية القومية، وقد يشتبك كلاهما مع الطائفة الدينية،

[1] مسعود بوسعدية ، ظاهرة العنف في الجزائر والعنف المتكامل، ص 06.

هذا الكم من العناصر المتداخلة يجعل تناول موضوع الإرهاب ليس فقط حساساً ولكنه أيضا معقد ومركب ...[1]

إنّ ظاهرة الإرهاب ليست مسالة كباقي السياسات اليومية التي يتعرض لها العالم بل تعتبر أكثر المظاهر بروزاً في الساحة الدولية في السنوات الأخيرة – النصف الثاني من القرن العشرين – والسنوات الأولى من القرن الواحد والعشرين– ، وتتميز بكونها موضوعاً حساسا جداً في الدراسة والتعامل، ولا يمكن حصره خاصة غذا طبقنا التعبير الشائع بأن من إرهابيا من وجهة نظر أحد الأشخاص لا يعتبر كذلك من وجهة نظر الآخرين، بل يعتبر بطلاً مناضلاً من أجل الحرية وقيم الخير.

مصطلح الإرهاب من أكثر المصطلحات والمفاهيم التي يمارس عليها التلاعب بسبب محاولة تعريفها وقولبتها ضمن ما يخدم الدول والحكومات، فأصبح الإرهاب يلعب دوراً مهما في تحديد العلاقات الدولية، خاصة الولايات المتحدة الأمريكية التي صنفت العالم إلى محور الخير: وهي الدول التي تساندها في حربها على الإرهاب، ومحور الشّر وهي الدول الإرهابية.

رغم أهمية تعريف الإرهاب كأساس لتحديد الظاهرة، ووضعها في سياقها إلاّ أنّه لا يوجد تعريف واحد محدد للظاهرة التي شغلت الأذهان وأفردت لها الدراسات والبحوث فإذا تكلمنا عن الإرهاب يعني اننا نتحدث عن العنف وهذا الأخير الذي يعتبر قديماً قدم الانسان، وما يهمنا هنا هو مصطلح الإرهاب.

كلمة الإرهاب مصطلح حديث نسبيّاً يرجع تاريخه إلى القرن الثامن عشر ميلادي (18) حين ظهرت هذه الكلمة أولا إبان الثورة الفرنسية الكبرى وابتداء من 1794م على وجه التحديد " بدأ في استعمال كلمة الإرهاب في سياق سياسي بحت، وكان مدلولها السياسي قد ظهر نتيجة اختبار فكري وروحي داخل حياة اجتماعية راكدة ومشحونة بالقلاقل والمنغصات ، وتشتق الكلمة الفرنسية "Le terrorisme" بمعنى رهبة أو رعب من الأصل اللاتيني

[1] ماجد موريس إبراهيم : الإرهاب الظاهرة وأبعادها النفسية ، دار الفرابي ، الجزائر ، ط1، 2008م، ص 19.

"Terrorismus" وهما فعلان يفيدان من جملة يرتعد ويرتجف ومن المفردات المشتقة من القاموس الاكاديمي للفرنسية الذي نشر في 1694م التفسير الثاني: رعب، خوف شديد و اضطراب شديد تحدثه في النفس، صورة شر، حاجز او خطر قريب ، وهي تقابل في اللغة العربية : رهبة، رهبي، أو الحالة التي ترعب وتفزع كما جاء.[1]

وقد اختلفت تعاريفه من مؤتمر إلى آخر ومن باحث إلى آخر حسب تفسيرات العالم السياسي اليوم، فمفهوم الإرهاب تغيّر وأصبح يعني استخدام القوة والعنف من أجل تنفيذ مشروع إجرامي فردي أو جماعي، يهدف إلى الإخلال بالنظام العام وتعريض سلامة المجتمع وأمنه لخطر، لذلك تعرفه الجمعية العامة للأمم المتحدة بطريقة موسعة على أنه " يشمل الأعمال والوسائل والممارسات غير المبررة التي تستثير فزع الجمهور أو مجموعة من الأشخاص لأسباب سياسية بصرف النظر عن بواعثه المختلفة".[2]

وقد اعتبرت اتفاقية جنيف لقمع ومعاقبة الإرهاب سنة 1937م أن الأعمال الإرهابية هي الأعمال الإجرامية الموجهة ضد دولة ما، وتستهدف أو يقصد بها خلق حالة رعب في أذهان أشخاص معينين أو مجموعة من الأشخاص او عامة الجمهور.[3]

أما الدول العربية فقد اتفقت على تعريف الإرهاب من خلال الاتفاقية العربية سنة 1998م، في مادتها الأولى وفقرتها الثانية وكان نصّها كما يلي :"كل فعل من أفعال العنف أو التهديد أي كانت بواعثه أو أغراضه يقع تنفيذاً لمشروع إجرامي فردي أو جماعي يهدف إلى إلقاء الرعب بين الناس أو ترويعهم او تعريض حياتهم أو حرياتهم وأمنهم للخطر أو الحاق الضرر بالبيئة أو بأحد المرافق أو الممتلكات العامة والخاصة أو احتلالها أو الاستيلاء عليها، أو تعريض أحد الموارد الوطنية للخطر.[4]

---

[1] ماجد موريس ابراهيم، مرجع سابق ، ص 25.

[2] ثامر إبراهيم الجهماني: مفهوم الإرهاب في القانون الدولي ، دار الكتاب العربي ، دار حوران ، الجزائر، سوريا، ط1و 2002 م، ص 19.

[3] أمل اليازجي ومحمد عزيز شكري : الإرهاب الدولي والنظام الراهن، دار الفكر سوريا، 2002م، ص 63.

[4] ماجد موريس ابراهيم، مرجع سابق، ص27.

هذه الاتفاقية تركز على مصطلح الإرهاب واتخاذ العنف والتهديد بضرب الأشخاص كما يشمل تدمير الممتلكات العامة وسيلة بتحقيق الأهداف والغايات .

كما يركز بعض الباحثين في تعريفهم لظاهرة الإرهاب "على زاويتين للرؤيا، زاوية للنظر من خلاله إلى نضال الشعوب وتمردها ولجوئها إلى استراتيجيات العصيان والحروب السرية باعتبارها إرهاباً، وزاوية أخرى يصف من خلالها العنف الحكومي السلطوي ضد الشعوب باعتباره – رعباً– بمعنى أن يصبح الرعب هو إرهاب من قبل الأقوياء، والإرهاب هو وسيلة الضعفاء لمنع رعب الأقوياء.[1]

إذ يقصد بالإرهاب كل استخدام للقوة أو العنف أو التهديد أو الترويع ضد الآخرين الذين يوضعون في حالة الرعب والخوف المزمنين من أجل تحقيق أهداف مباشرة مثل تخويض حالة الأمن وبث الرعب ولفت الانتباه، أو لتحيق أهداف غير مباشرة كتغيير الحكومة وقلب النظام القائم كما حاولت الجماعات الاسلامية في الجزائر فعله عن طريق الإرهاب المسلح.

والإرهاب عن أشكال كالاغتيالات والمذابح الجماعية واختطاف واحتجاز الرهائن وتحويل اتجاه الطائرات بعد اختطافها (كاختطاف الحكومة الفرنسية لجزائريين أثناء الثورة، وتحويل فلسطين لطائرة الخطوط الجوية الإسرائيلية سنة 1963– 1972م، واختطاف طائرة الايرباس من مطار هواري بومدين من طرف إرهابيين في ديسمبر 1994م، واختطاف الطائرات التي تمت بها مهمة تفجير برجي التجارة العالمية في سبتمبر 2001م، كذلك التفجيرات في الأماكن المختلفة وغيرها من عمليات التخريب.[2]

الإرهاب يتجاوز كل عمل عنفي لما يتركه من آثار سياسية ونفسية واجتماعية واقتصادية على الشعوب التي تعاني منه، ويبقى تعريفه يثير عدة مشاكل لما يحمله هذا المصطلح من دلالات سلبية، وكذلك تقاطعه مع ظاهرة العنف، الذي يكمن في جوهر

[1] المرجع نفسه، ص 26.

[2] ماجد موريس ابراهيم، مرجع سابق، ص 28.

الإرهاب الذي يصنع لنفسه أهدافا سياسية يمر تحقيقها عبر ممارسة فعل العف، وجعل أكبر عدد من الناس يحسون أنهم مهددون، لذلك يجب أن يكون العنف الإرهابي دون تحديد الضحايا وعددهم حتى يشعر كل شخص أنه قد يكون الضحية المحتملة للعملية الإرهابية القادمة.

2- الأصولية والتطرف :

إن ظاهرة الأصولية والتطرف أو بالأصح ظاهرة المد الأصولي الذي تعرفه المجتمعات الاسلامية والعربية، خاصة بعد نجاح الثورة الإيرانية سنة 1979م، أدت إلى زيادة الاهتمام بمسألة الإسلام السياسي وما يعرف بالحركات الإسلامية مع زيادة الاهتمام بموضوع الإرهاب الذي يحاول البعض إلصاقه بالإسلام ، حتى صار مفهوم الإسلام عند الأمريكان مثلاً مرادفاً للعنف، وصار كل مسلم إرهابي أو مشروع إرهابي خاصة بعد أحداث 11 سبتمبر 2001م وما رافقها من هجمات إعلامية على الإسلام.

إن الذي يتطرق إلى موضوع الأصولية والإسلام السياسي والإرهاب يصادف في طريقه صعوبات ومزالق، نظراً لما يحيط بالموضوع من غموض و التباس بدأ بالتسمية ذاتها، فهناك من يستعمل لفظ الإسلام السياسي أو الحركات الأصولية، وهناك من يفضل استعمال مصطلح "الحركات الإسلاموية" وذلك بسبب أن لفظ إسلاموي يدل كما يرى إبراهيم أعراب "بهذا المعنى وفي هذا السياق الموقف المتطرف والميل إلى التشدّد وبخلاف هذا التعبير – الإسلامي – الذي يحمل دلالة الاعتدال وعدم التطرف.[1]

أما مصطلح الأصولية فهو الأخر ملتبس، إذا كان يطلق لفظ الأصولي على "العالم المشتغل بأصول الفقه كما هو عالم يهتم بكيفية استنباط الأحكام الشرعية من أدلتها اليقينية، كما أطلقت على عالم الكلام بوصفه يهتم بالدفاع عن العقائد الإيمانية للأدلة العقلية، أما الأصولي وكما تستخدم اليوم، فإنها تطلق على الدعاة والمناضلين المنخرطين في التنظيمات

[1] إبراهيم أعراب، الإسلام السياسي والحداثة، إفريقيا شرق، الدار البيضاء، 2000م، ص 10.

والأحـزاب الإسـلامية العقائديـة والسياسـية والـذين يـؤثرون تسـميت أنفسـهم مجاهـدين أو جهاديين.[1]

والشـخص الأصـولي هـو "الـذي يتوقـف بفكـرة عنـد شـخص أو نـص أو مـن زمـن أو حدث يتعلق بـه ، أو يتماشـى معـه، لكـي يتخذه وكأنـه الموجع والنموذج والأساس أو المعيار في النظر والعمل، إنه من ختم على عقله يختم عقيدته أو فلسفته أو إيديولوجيته والمحصنة لذلك هي المحافظة والاخلاق، أو التقليد والحراسة باستبعاد ما تولده الحياة من التنوع والثراء، وإدانة المختلف أو السعي لاستئصاله، لتكوين مجتمع أفراده نسخ من بعضهم البعض.[2]

وهذه هي حال مختلف التجارب الأصولية التي شهدها العالم، حيث يهدف الأصولي إلى محاربة كل فكر مغاير، ويصبح كل أخر مختلف منهما بمخالفة الجماعة، وبالتالي هو مشروع سـجين أو مضـطهد أو قتيـل ويصـبح الأصـولي فـي إطـار منطقـة المتميـز بالثبـات والانفلاق والأحادية والإقصاء والتطرف والعنف مستعداً لكي يشوه الأخر ويدمره.

كثيراً ما تداول الإسلاميون مصطلح "الصحوة الإسلامية" على الحركة الإسلامية التي ينتمون إليها، ويقصدون بها إقامة دولة إسلامية على شكل الخلافة الإسلامية وبذلك إعادة عهد السلف الصالح، والذي كما نعلم هو الفترة التي تمتد من النبي صلى الله عليه وسلم ثم الصحابة فالتابعين وأتباع التابعين.

"ورواد السلفية هم في الحقيقة الحنابلة وفي مقدمتهم ابن تيمية (1263– 1328م) وابن القيم الجوزية (1292–1350م) ويلقب ابن تيمية بمجدد القرن السابع والتجديد هنا هو العودة إلى الإسلام في نقائه وقبل أنّ يتلوث بالبدع ويعني ذلك أنّ الإرادة الإلهية لن تتحقق بإتباع الشريعة كوسيلة لخلاص الفرد، ولكن بتأسيس مجتمع فاضل بفضل الإرادة الجماعية للأمة".[3]

---

2 علي حرب ، أزمنة الحداثة الفائقة ، الإرهاب الإصلاح، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، 2005م، ص 95[1].

[2] المرجع نفسه، ص 95.

[3] مراد وهبة ومنى بوسنة : الأصولية والعلمانية في الشرق الأوسط، دار قباء ، القاهرة ،ط1، 1999م، ص 25–26.

فأحمد ابن حنبل هو أحد مؤسسي المذاهب الفقهية الأربعة في الإسلام السنّي، وهو في مذهبه أكثر تشدّد من باقي المذاهب الحنفية والمالكية والشافعية، وهو يدعو ويتشدّد في مذهبه على العودة كليّاً إلى النّص والسير على خطى السلف الصالح.

يعتبر ابن تيمية من أتباع ابن حنبل المتشدّدين وقد ألّف كتابا موجزاً هو "السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية" الذي يعتبر بمثابة بيان ومرجع أساسي لكل الطامحين من دعاة التنقية الحرفية للرسالة المحمدية من كل شائبة، ولا يزال تأثير الكتاب بارزاً حتى الآن، لذلك فقد خرجت الحركة الأصولية من تحت عبادة الدعوة السلفية الإصلاحية، والتي كانت تدعو إلى العودة إلى الإسلام في نقائه الأول، ومحاربة البدع التي تأثرت بالدعوة الوهابية في المملكة العربية السعودية، وهي الدعوة المتأثرة بأفكار ابن تيمية بل والمتشدّد في ما تساهل فيه "ابن حنبل" و "ابن تيمية" .

في مطلع القرن العشرين مثل الأمة الإسلامية كل من محمد عبده و رشيد رضا بتأثير من جمال الدين الأفغاني ولكن مع اعتبار رشيد رضا الأكثر تأثيراً في التيار عن طريق أفكاره التي كان ينشرها في جريدته "المنار"، والحلقات الدراسية التي كان ينظمها فأثر على حسن البنا مؤسس جماعة الإخوان المسلمين، والذي يعتبر الأب الروحي لكل التيارات الإسلامية في العالم العربي، وذلك بفضل مزاوجته بين التنظيم والممارسة في قيادته لتنظيم الإخوان فهو "مؤسس تنظيم الإخوان القائم على مركزية صارمة يحتل فيها المرشد العام ودور القيادة والزعامة التي لا تناقش..."[1]

فقد صمّم لحركة الإخوان من كل الجوانب وحدّد مراحلها وخطواتها، وبدأ دعوته بطرح تصوّر شامل يتناول جميع مظاهر الحياة ويتطرق لكل جوانبها، مثل الإسلام وما يتضمنه من جهاد ودعوة، وكذلك عقيدة صادقة وعبادة صحيحة، وهو يدعو إلى الإسلام ومعناه الصافي من الكتاب والسنة.

[1] ابراهيم أعراب، مرجع سابق، ص 43.

هذه هي تقاليد التي تركز علها دعوة الحركة الإخوانية مع حسن البنا بالإضافة إلى مفهوم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، "ويقودنا هذا المفهوم إلى مفاهيم إسلامية أخرى، كمفهوم الجماعة الإسلامية، ومفهوم الاستخلاف : وهو الأخر مفهوم أساسي في المنظومة المرجعية الدينية الأصولية".[1]

بعد وفاة الحسن بنا 1949م خلفه سيد قطب والذي سلك نفس المنهج، وظهر دوره جليّاً أثناء سنوات المحنة التي عرفها هذا التنظيم بعد صدامه مع جمال عبد الناصر إثر محاولة الاغتيال الفاشلة، وبذلك ظهرت الجماعات الإسلاموية والإسلامية التي انبثقت من رخم الإخوان و بأسماء متعدّدة لقلب النظام الحاكم عن طريق العنف والمواجهة لجماعة الهجرة والتكفير وغيرها، ولكن الملاحظ أنّ هاته الجماعات المتعدّدة التي تعود إلى أصل واحد، انقسمت من حيث منهجها واستراتيجية عملها إلى عدة تيارات يمكن تصنيفها إلى تيارين بارزين : هما التيار الإخواني ويوصف بالإصلاحي، والذي يدعو إلى الممارسة السياسية السلمية التقليدية، والتيار الراديكالي المسلح والذي يدعو إلى انتهاج إستراتيجية الجهاد والقتال والاغتيال.

أما الجزائر فهي أيضا عرفت كلا التيارين الإسلاميين المعتدل والراديكالي المتطرف، ومن الممكن أن نلمس جذور تنظيمات التيّار الإسلامي في فترة الاحتلال الفرنسي مع جمعية العلماء المسلمين، خاصة أعمال الشيخ عبد الحميد بن باديس والشيخ البشير الإبراهيمي، اللذان نذرا نفسيهما لترسين الموقف الوطني (الشعبي) باتجاه الآثار الحضارية للاستعمار الفرنسي وتعبئة الرأي العام من أجل حماية الدين واللغة العربية، ومن الممارسات المنافية لهما وللانتماء الوطني.[2]

وفي السنوات الأولى للاستقلال شكّلت الجزائر أرضية خصبة لزرع أفكار الجماعات الإسلاموية خاصة مع استقدام بحدّة الأساتذة والمعلمين من الدول العربية منها سوريا

[1] المرجع نفسه ، ص 45.

[2] ينظر : موضوع العنف في الرواية الجزائرية ، التسعينات أنموذجاً مقاربة سيسيونقدية ، رسالة ماجيستير ، 2006-2007م، ص 53.

ومصر، وكان معظمهم متشبعين بفكر الإخوان المسلمين، ومع تهميش دور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين لتي اختارت صف معارضة النظام القائم، كانت كل الظروف مواتية لنشر الفكر الإخواني المعتدل والمتطرف خاصة مع بداية الثمانينات، حيث في هذه الفترة بالذات عرفت احتكاك الجزائريين بمختلف شيوخ الإخوان أمثال الغزالي ويوسف القرضاوي، وبهذا فقد عرفت الجزائر حركة فكرية نشطة على غير عهدها.

وبعد احتكاك الجزائريين بشيوخ الأزهر دخلت مرحلة جديدة مطلع السبعينات وهي مرحلة العمل السردي وذلك عندما قام جاب الله بتأسيس تنظيم إسلامي سردي بقسنطينة عرف باسم جماعة جاب الله وهو التنظيم نفسه الذي عرف ابتداء من 1987م باسم الجماعة الإسلامية مبررا فيه رفضه التام لمشروع الميثاق الوطني، ورفضه للتوجه الاشتراكي.

في تلك الإثناء ظهر هناك في الأفق تنظيم آخر "حركة مجتمع السلم" بقيادة الشيخ محفوظ نحناح عند إعلان التعددية الحزبية وبذلك ظهر تنافس شديد وقوي بينه وبين جاب الله بعد أن غيّر اسم تنظيم حزبه إلى حركة النهضة الإسلامية، وبذلك بدأ العمل الحركي للإخوان المسلمين في الجزائر بشكل رسمي بعد أن كان سريّاً.[1]

3- أحداث أكتوبر 1988م:

تعتبر أحداث أكتوبر 1988م من أهم الأحداث الخطيرة التي مهدت للأزمة الجزائرية، كما تعتبر منعطف أسيراً أدخل الجزائر في معضلة على جميع المستويات، يرى فيها أحمد طالب الإبراهيمي أنّها قلبت المفاهيم "أصبح رجال المال والأعمال يشاركون في ممارسة السلطة، وأصبحت الثروة تتحكم في الثورة، وأصبح المثل الأعلى للسلطة هو النظام الذي تتمتع فيه أقلية بكل الامتيازات وتتخبط فيه الأغلبية على الفاقة والغلاء والبطالة ".[2]

[1] موضوع العنف في الرواية الجزائرية، مرجع سابق، ص 54 .

[2] أحمد طالب الإبراهيمي : المعضلة الجزائرية الأزمة والحل 1989- 1999، شركة دار الأمة للطباعة والنشر ، ط4، الجزائر، 1999م، ص 45.

وفي الحقيقة لم تكن الأزمة التي كانت وليدة هاته الأحداث أزمة سياسية فقط ، وإنما هي انفجار شعبي رفع صوته في الشوارع بشعارات ضد النظام، والممارسات البيروقراطية للإدارة والسلوكات الطائشة للغربيين من بعض رجالات النفوذ ...

وهي مظاهر اجتماعية سلبية غذتها مشاكل ندرة التموين في السوق، ومشاكل تفشي البطالة وسط الشباب وكذلك العجز المتفاقم على السكن الاجتماعي بالمدينة، أضف إلى ذلك تدهور الحالة الأمنية على الأملاك والأشخاص.[1]

غير أن جذور هذه الأزمة تمتد إلى أبعد من ذلك في نظر الدارسين والسياسيين، فقد مهدت لها أحداث كبيرة تعود إلى أحداث الثورة التحريرية، كالصراعات التي دارت بين المصاليين والمركزيين، وكذلك اغتيال الطلبة الجزائريين على الحدود التونسية من طرف مجاهدين مكلفين بحراستهم، أما فترة الاستقلال فعرفت أحداث مهدت لأكتوبر 1988م، منها التصحيح الثوري في جوان 1965م بالإضافة إلى أحداث الربيع الأمازيغي 1980م لتنفجر أحداث أكتوبر 1988م وحرب أهلية غير معلنة، وقد رأى فيها خالد نزار الذي كان في ذلك الوقت قائد القوات البرية، ثم أصبح وزيراً للدفاع الوطني، كما أنها لم تكن أحداث عفوية من تنظيم شباب مقهور لكنها كانت مؤامرة داخلية يهدف أصحابها إلى إلغاء الحزب الواحد (حزب جبهة التحرير الوطني) وقلب النظام والاستيلاء على السلطة، ومهما يكن من أمر فالمؤكد أن الجزائر قد دخلت نفق مظلم، هيمنة عليه حوادث القتل والاغتيال والتفجير العشوائي وسفك الدماء واللاأمن.

حتى صارت مشاهد يومية وصفها "سليمان الرياشي" بأنها السنوات التي جعلت الجزائر تملأ الدنيا وتشغل الناس، ولكن هذه المرة كبلد متأزم، فشلت تجربته السياسية

[1] محمد بلقاسم حسن البهلول: الجزائر بين الأزمة الاقتصادية والسياسية (تشريح وضعية) ، دون وجود دار النشر والبلد ، د ط ، 1993م، ص 23.

التعدّدية وظهر عجزه في ممارسة التداول السلمي للسلطة، وإنخلط في مسلسل العنف الدموي، ولاحت في الأفق مظاهر الارتباك في الهوية الوطنية والثقافية والتعبير عنهما.[1]

وقد قدّر بعضهم عدد الضحايا في هذه الأحداث: مائة ألف قتيل وأكثر من ستمائة ألف نازح، كما دمّر بالكامل اثنا عشر ألف مشروع كبير وصغير، دمّرت ألف ومائة وثلاثة وثمانون مدرسة ومعهد، وأنّ حوالي خسمة آلاف سيّدة وفتات تعرضّن للاغتصاب بالإضافة إلى أربعمائة ألف جريح وخمسمائة ألف من المصابين بأمراض نفسية، نتيجة للصدمات التي عاشوها .[2]

ومهما يكون الأمر "فإنّ نظام الحكم في ذلك الوقت قد تسلم السلطة بدون دولة، وواجه مواقفها بدون إمكانيات ووضع القواعد الأولية بدون مساعدات.

4-بداية العنف المسلح في الجزائر:

تمت الانتخابات البلدية في شهر جوان 1990م، والتشريعية في ديسمبر 1991م بعد أن تأزمت الأحداث، وتعدّدت الأحزاب في الجزائر وانقسم الشعب إلى ستين حزباً ونيفاً، ودخلت البلاد في غوغاء لا حدود لها وحدث ما لم يكن يحسب له أي مواطن حسابه.[3]

بدأت الجبهة الإسلامية للإنقاذ بعد فوزها في الانتخابات، تحشد كل يوم جمعة أعداد كبيرة من الموطنين وتخطب فيهم وتستميل عقولهم وقلوبهم باسم الدين خاصة في إضراب 1991م، الذي أظهر سطوة زعمائهم في التعبئة الشعبية للمدن الجزائرية بما فيها العاصمة، وكانت فرصته ليضغط على السلطة التي لم تجد حلاً سوى تدخل الجيش من أجل فضّ المسيرات والاعتصامات.

5-إلغاء المسار الانتخابي 1991م:

[1] الشيخ سليمان بشنون :الأزمة الجزائرية وأبعادها ، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، د ت ، د ط ، ص 97.

[2] مجموعة من المؤلفين : الأزمة الجزائرية الخلفيات السياسية والاقتصادية والثقافية، مركز دراسات الوحدة العربية، ط2، بيروت ، 1999م، ص 9.

[3] مرجع سابق ، الشيخ سليمان بشنون، ص 97.

حيث ميّز الحملة الانتخابية خطاب سياسي عنيف غير مسؤول من قبل حزب الجبهة الإسلامية للإنقاذ، وترتبت عن هذا الخطاب تجاوزات واضحة في القدح والقذف بالكلام ومع الأسف مع أنّ "الأدوات المستعملة لتغذية هذه الروح العدائية وسط الشباب المتذمر من المشاكل الاجتماعية والاقتصادية هي شعارات الإسلام بالنسبة للحزب الأول والامازيغية بالنسبة للحزب الثاني، وفي كلتا الحالتين فإنّ الخطر السياسي أكيد هو تنمية التعصب الديني والتفكير الجهوي".[1]

يقول "خالد نزّار" في هذا "كما أوقف المسار الانتخابي وضعنا كل الفرضيات، فرضية التخريب وحتى فرضية الإرهاب، لكن لم نعتقد مطلقاً أنّنا سنصل إلى المجازر في حق الأطفال".[2]

ومادام الأمر قد وصل غلى حدّ الجريمة بحقّ الأطفال وازداد الوضع سوءاً، ودخل مناضلو الجبهة الإسلامية للإنقاذ في مرحلة العنف المسلح، حيث تم دفع الجماهير إلى العنف المسلح والتطرف باسم الجهاد والدين، بالإضافة إلى إصدار كتاب "العصيان المدني" "لسعيد مخلوفي"، مع تطور الأحداث استقال الرئيس "الشاذلي بن جديد" وتولّى المجلس الأعلى للأمن السلطة، الأمر الذي أدى إلى تشكيل المجلس الأعلى للدولة ترأسه "محمد بوضياف" في المرحلة الانتقالية والذي طرح في أفريل 1992م بعد حلّ الجبهة الإسلامية للإنقاذ بشهر واحد.

إن الاعتداءات الحالية هي نتيجة إرتجافات وضع تنتهي مع الوقت،[3] لكن الارتجافات هذه ستصل إلى حد اغتياله بتاريخ 20 جوان 1992م، أين بلغت الأزمة الجزائرية ذروتها بين السلطة وحزب الجبهة الإسلامية للإنقاذ، غير أنّ أحمد طالب الإبراهيمي يرى أنّ جزءا

[1] محمد بلقاسم حسن بهلول، مرجع سابق ،ص 124.

[2] علي هارون : مذكرات اللواء خالد نزار، دار النشر الشهاب، باتنة ، الجزائر ، 1999م، ص 129.

[3] محمد عصامي : في عمق الجحيم (معول الإرهاب يهدم الجزائر) ، ترجمة من طرف المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والاشهار، 2002م، ص 350.

من هذه الأزمة كان بفعل السلطة لأنّه من الخطأ السكوت عن حالات العنف التي حدثت بفعل السلطة وتوّلدت عنها أعمال العنف.[1]

الأمر الذي يؤكده بعض الدارسين والخبراء وأقره واعترف به بعض ضباط الجيش الجزائري فقوات الأمن الجزائري ، وقد ارتكبت هي الأخرى مجازر ومذابح بشعة ضمن حملاتها المستمرة لمكافحة الجماعات ومطاردة قادتها وكوادرها.[2]

وتبقى العشرية السوداء التي مرّت بها الجزائر تحمل كثيراً من الأسرار غير أنّها باتفاق الجميع تبقى أخطر مرحلة مرّت بها الجزائر.[3]

ودون ما الدخول في الآثار النفسية لضحايا الأزمة الوطنية وتفاصيلها يكفي أن تدرك أنّ الدراسات الحديثة أثبتت أنّها هؤلاء سيعانون على المدى الطويل من آثار العنف ويكونون بدورهم فاعلين له.

ففي دراسة قام بها "مصطفى عشيوي" بـ : اضطرابات ما بعد الضغوط الحديثة في الجزائر أثبتت في هاته الحقيقة وقد اتخذ عينة بحثه أكثر من امرأة معظمهن من اللواتي أصبنا بصدمات نفسية لأسباب متباينة كفقدان الأزواج والآباء، والاغتصاب جزء من عمليات القتل فقد قام نفسانيون بالتكفل بشكل أو بآخر بالأشخاص المرضى في مركز "بن طلحة" الواقع في ضواحي العاصمة .[4]

رغم مرور عدّة سنوات على تعرض المشاركات للصدمات النفسية خلال العشرية السوداء فقد تبيّن من تطبيق مقياس الاضطرابات التالية للصدمة أنهنّ لا يزلنّ يعانين من تلك الاضطرابات الأمر الذي يدّل على قوة العنف الذي تعرضنّ له وفضاعة المآسي التي عشنها، لذلك هنّ في حاجة إلى المتابعة والاهتمام والتكفل على المدى البعيد.

6- مرحلة نمو وانطلاق العنف الإرهابي 1993- 1994 :

---

[1] أحمد طالب الإبراهيمي ، مرجع سابق ، ص 53.

[2] ماجد موريس إبراهيم ، مرجع سابق، ص 52.

[3] زهور ونيسي ، عبر الزهور والأشواك مسار المرأة ، دار القصبة للنشر ، الجزائر ، د ط ، ص 29.

[4] مجموعة باحثين : الصدمات النفسية في الجزائر ، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع ،ص 128.

مع حملة الاعتقالات الواسعة وفتح معسكرات في الجنوب الجزائري، كان لزامنا على حزب الجبهة الإسلامية للإنقاض أن الملجأ الوحيد هو العمل المسلح، وفي فيفري 1990م اكتملت مرحلة التحضير بعد الإعلان عن تشكيلي أولى الجماعات الإسلامية المسلحة (الحركة الإسلامية المسلحة) والتي بدأت تثبت وجودها عن طريق تخريب أملاك الدولة كتخريب المؤسسات الاقتصادية والمدارس والجسور وانابيب النفط وغيرها، إضافة إلى الهجمات بالقنابل التي مسّت المساجد والمباني ومراكز البلديات والبريد.

وبداية جانفي 1992م بدأ تسجيل عمليات إرهابية يومية واغتيالات واسعة استهدفت في المرحلة الأولى لإطارات وموظفي الدولة والمثقفين والأئمة والصحافيين حيث اعتبرتهم الحركة الإسلامية أخطر فئة يجب القضاء عليها، ووجهت إنذاراً أخيراً للصحافيين الذين يشنّون حرباً نفسية ضد المجاهدين، وفي هاته الفترة من سنة 1992م تضاعف عدد القتلى عشرات المرات بين سنة وأخرى نتيجة ظهور جماعات إرهابية، غير الحركة الإسلامية المسلّحة، ونكلت بفضاعتها في تنفيذ جرائمها على ضحاياها، كما شهدت هذه المرحلة اغتيال "محمد بوضياف" في عنابة يوم 29 جوان 1992م، وبهذا المشهد تكون الجزائر قد دخلت في دوامة لم يكن في استطاعتها الخروج منها.[1]

7- مرحلة السيطرة والقوة (1995-1996-1997):

شهدت هاته المرحلة همجية كلية للجماعات الاسلاموية المسلّحة على عدّة مناطق في الجزائر وتوّسع عملياتها إلى مختلف المناطق، فقد تمكّنت التنظيمات الإرهابية خاصة جماعة الإسلامية من إحكام سيطرتها على الوضع الأمني ومضاعفة أعمالها الإرهابية إعتداءاتها المسلحة، وخاصة بعد الانتخابات الرئاسية في نوفمبر 1995م واستفتاء تعديل الدستور في1996.

كما عرفت هذه الفترة نمواً خطيراً لظاهرة الإرهاب وما يدل عليه من الخسائر المادية والبشرية خاصة في صفوف المدنيين وحتى أفراد الجيش ورجال الأمن، كما أنّ ظاهرة

[1] ينظر : إلياس بوكراع ، الجزائر، الرعب المقدّس ، ص 284.

الإرهاب في هذه الفترة اتخذت أشكال جديدة في الإيقاع بالضحايا كتفجير السيارات والقنابل في الأماكن العمومية التي تشهد اكتظاظا كبيراً.

وكذلك اتخذت شكلا أكثر خطورة وهي الحواجز المزيفة ومراقبة الجسور والمعابر وأيضا المجازر الجماعية خاصة نهاية 1997م، إذ أصبح الأمر شديد الخطورة عندما شملت هذه المجازر حتى الأبرياء والأطفال والرضّع والنساء الحوامل والأجنة، ظناً منه أن هذه المجازر ستقربهم إلى الله "ليست اغتيالاتنا ومجازرنا، وحرائقنا سوى قرباً إلى الله... ليمنحنا القوة لقطع الرؤوس وتصفية المهرطقين".[1]

فالإرهاب يتصور قتل الجزائري هو تقرب إلى الله، لذلك فإنهم يفضلون القتل بالذبح بدل القتل بالرصاص، يتصّوروا أنفسهم يذبحون قرابين بشرية تقرّبهم إلى الله .

8- مرحلة بداية تراجع وانشقاق الجماعات الإسلامية 1998-1999-2000 :

شهدت هذه المرحلة بداية انهيار الجماعات الإسلاموية ، خاصة بسبب الصراع الدائر بينها حتى داخل المجموعة الواحدة، طمعا في الزعامة والإمارة لما تجلبه الغنائم أثناء أي عملية إرهابية، ومع توالي الضربات المتتالية والحصار الذي فرضه الجيش الوطني على معاقل الجماعات الإسلامية المسلحة، والقضاء على شبكات الدم المادي .

وهناك أيضا النصوص السياسية والقانونية التي صدرت بهدف العفو عن الإرهابيين كقانون الوئام المدني سنة 1999م، الشيء الذي ساهم في عودة واستسلام وتخلي العديد من الإرهابيين على العمل المسلح وعودتهم إلى أهاليهم بعد ما كانوا مشتّتين في الغابات لسنوات طويلة.

رغم كل هاته التطورات التي نعتبرها ربما إيجابية من الناحية المعنوية، إلاّ أنّ سنة 1998م وفي شهر أوت بالذات ظهرت هناك جماعة إسلاموية مسلّحة تواصل العمل الإرهابي إلى يومنا هذا، وهي "الجماعة السلفية للدعوة والقتال" والتي صنفتها الولايات المتحدة الأمريكية في لائحة الجماعات الإرهابية بسبب علاقتها مع تنظيم القاعدة.

[1] المرجع نفسه، ص 304.

إنّ الأزمة التي عرفتها الجزائر بداية من أكتوبر 1988م لم تكن أزمة سياسية فقط، وإنما اقتصادية واجتماعية وثقافية، شملت الهوية الوطنية (الإسلام ، اللغة العربية) وحتى الأمازيغية كظاهرة ثقافية في الجزائر حيث يرمي بعضهم أنّها كانت سبباً في إقرار التعدّدية الحزبية اللغوية ، أما " عبد المالك مرتاض" فيرى أن التعددية الحزبية اللغوية فخ جديد لتمزيق الهوية الوطنية، مما أدى إلى تفاقم الأزمة رغم محاولة السلطة خاصة بعد الانتخابات الرئاسية (نوفمبر 1995م) جمع الشتات وتهدئة الأوضاع وإحكام القبضة على الإسلامويين ونشاطهم، حيث تراجع مصطلح الإرهاب نسبياً في الخطاب السياسي وازدادت الأوضاع تحسّناً واستقراراً بعد صدور قانون الوئام المدني 1999م، رغم هذا تظل هذه العشرية السوداء في ذاكرة الجزائر لا تمحى بقوة بل تحمل الكثير من الأسرار وعلامات الاستفهام لكن لا نريد الخوض في تفاصيل الأمر أكثر نظراً لطبيعة الدراسة، حسبنا أننا وقفنا عند أهم نقاط الأزمة التي رأينا أنّهت ضرورة لا يمكن إغفالها لأنّها مثلت المتن الحكائي للنّص الروائي في هذه الفترة.

الفصل الثاني: تجليات المحنة في رواية سيدة المقام

أولا/ الرواية و الصراع الايديولوجي

ثانيا/ الإرهاب

ثالثا/ صورة المثقف

رابعا/ صورة الموت

خامسا/ صورة العنف

أولا/ الرواية و الصراع الايديولوجي

ظهر مصطلح الإيديولوجية لأول مرة في مذكرة الباحث الفرنسي "ديستون دوتراسي" سنة 1766م، مفهوم شائع الاستعمال منقول عن لفظة "ideologies"، وتعني حرفيا " علم الأفكار"، وعلى ذلك يمكن أن نستعمل هذا التعريف البسيط في: التعبير في لغة عادية عن الأفكار الفلسفية أو الدينية أو السياسية، والرواية كجنس أدبي متميز، تعد أكثر الأجناس الأدبية اتساعا للإيديولوجيين، وتدخل هذه الأخيرة إلى عالم الرواية التخيلي كمكون جمالي ، يكون أداة في يد الكاتب للتعبير في النهاية بواسطة عن إيديولوجية الخاصة[1]، كما أن الإيديولوجيا أيضا تدخل في الرواية كمادة أولية لتشييد بنيتها، فإن الرواية أيضا تدرج ضمن الحقل الإيديولوجي، لأنها مغامرة فكرية في خصم الصراع الإنساني.

يسعى النص الإبداعي أن يقدم في عمومه قيم الواقع الذي يتحرك فيه، بحيث يتصارع معه لأنه نسخة عنه، وهذا الصراع، صراع النص والواقع، يسعى فيه النص الروائي إلى تعريته وقبض جوهره، والإبانة عن إيديولوجيته الخاصة.

و الروائي "والسيني الأعرج" من خلال روايته" سيدة المقام" يحاول تجسيد مرحلة من تاريخ المجتمع الجزائري فيما بعد أكتوبر 1988م، والتي وسمت بمرحلة المراجعات الكبرى، فقد حل مبدأ وحدة السلطة، والحزب الواحد المحتكر للسلطة، والنظام الاشتراكي، والسبب في ذلك يرجعه الدكتور "سعيد بوشعير" إلى " عجز الحكومة عن الاستجابة لمطالب الشعب المتزايدة نتيجة وطأة آثار الأزمة الاقتصادية العالمية ...، وعجزها أيضا على التحكم في تسيير الاقتصاد الوطني، فضلا عن استفحال ظاهرة البطالة والمحسوبية، وبروز طبقة بورجوازية طفيلية تمكنت من جمع ثروات مالية ضخمة، ضف إلى ذلك التعسف، والمعاملة السيئة التي كان يتعرض لها المواطن في تعامله مع الأجهزة البيروقراطية و السلطوية، مما ترتب عنه فقدان الثقة في الأشخاص الحاكمين، فكانت القطيعة بين الحكام و المحكومين"[2]،

[1] علال سنقوقة، المتخيل و السلطة في علاقة الرواية الجزائرية بالسلطة السياسية، منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر، 2000م، ص61.
[2] السعيد بوشعير، النظام السياسي الجزائري، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، ط2، 1993، ص173.

كل هذه العوامل دفعت بالشعب إلى الثورة و التغيير و التعجيل بموت ودفن المراحل السابقة، واستقبال مظاهرات أكتوبر 1988م، بشغف.

يرى العديد من المحللين السياسيين بأن الاضطرابات التي عرفتها الجزائر، كانت ورائها أسباب عديدة منها: سياسة التقشف التي انتهجتها الحكومة، نتيجة انخفاض سعر البترول سنة 1982م، وكذلك العجز في تسديد الديون، حيث أرهقت الديون كاهل الاقتصاد الوطني، بالإضافة إلى الاعتماد على الواردات لسد حاجيات السكان، وانعكس بطبيعة الحال –هذا الوضع– على الحالة الاجتماعية لتزداد نسبة البطالة، وحدة الفقر، كما ازداد الباب اتساعا أمام التهريب و الانحراف واقبال الشباب على المخدرات، فهذه المسائل هي التي تبلورت مظاهرات أكتوبر، والذي عد بحق "زلزالا سياسيا" هز أركان النظام وأطاح به ممهدا للتغيير، بتوفير الوسيلة الأساسية المتماثلة، فهي لسعي الجيش نحو الاتجاه الاصلاحي [1]، فكان من نتائج أكتوبر أن أثر نظام التعددية الحزبية كحل جذري لسياسة الحزب الواحد، لتدخل الجزائر بعدها في صراع مرير فيما بين الأحزاب و السلطة، الامر الذي أدخل الجزائر في انغلاق قصوي، خصوصا مع تباين الاتجاهات الايديولوجية وتعارضها في بعض الأحيان بين أفراد السلطة نفسها، وقد يرجع السبب في ذلك إلى كون المجتمع الجزائري انتقل من نظام تقليدي قديم يأخذ نظام العشيرة والقبائل إلى نظام مستحدث، لم يستوعب بعد قوانين المائة، فقد تحطمت ثقة الشعب بالقيادة وتزعزع إيمانه بنفسه، واسود في عيونه المستقبل، وأصبح فريسة لأعنف مشاعر البأس و التنوط، لتشكل فئة عريضة من الساخطين على السلطة، وكنتيجة لهذا الصراع حدث تحول هام عقائدي، وهذا التحول تجسد في انتشار الحركة الإسلامية، و التي ظهرت كرد فعل على الإخفاقات السياسية و الاقتصادية للإيديولوجية الوطنية.

وتمثل الطبقة الكادحة في المجتمع الجزائري، والتي تضم العمال و البطالين و الكادحين، وجزء كبير من التجار البسطاء و الفلاحين، المرتع الخصب لكل الأفكار الشاذة

[1] السعيد بوشعير، مرجع سابق، ص172.

والعنيفة و المتطرفة، فالانطلاقة الأولى للأصولية الاسلامية الثورية كانت من الأحياء الشعبية، و المذابح الكبرى و الخسائر الفادحة كانت داخل و من هذه الفئة، فهي من تدور عليها رحى الصراع وتتحرك عجلة الصراع على الساحة الجزائرية ليمتد عمرها ما يقارب العشر سنين أو يزيد، تقاسم فيها الجميع حالات الرعب و الخوف أياما عجاف.

ولا تخال هذه الأحداث بعيدة عن أحداث المتواليات السردية التي كتبت في هذه المرحلة، وتمثل فيها الصراع الايديولوجي بطلا هاما، و الروائي بتناوله نقطة الصراع فيما بعد الانفتاح، يعبر عن البنية الأساسية لحياة ما بعد أكتوبر 1988م، حيث لم يستطع هذا الأخير أن يخمد نار الفتنة أو يقلل من لهيبها، فما حدث كان العكس تماما، لقد طفحت أطراف الصراع علنا بأشكال متعددة وأساليب متنوعة، استطاع الروائي أن يلتقطها بأصوات لغوية متنوعة، داخل متن الروايات التي كتبها في هذه الفترة، في رواية " سيدة المقام" نقرأ استمرارية السياسة المعادية للتقدم و البناء الحضاري، وطابع الفوضى الذي يتسم به أنظمتنا دائما في حل البلدان العربية الاسلامية وفي الجزائر بشكل خاص، ويمكننا أن نميز داخل المتن ذاته ايديولوجيتين من منظور الروائي:

- ايديولوجية دينية تقليدية تشكو الفراغ الرهيب في بنيتها الداخلية.
- ايديولوجية ثورية علمانية تعيش وسط عالم يسيطر فيه الظلم و القهر و القمع، ولا يخفي الروائي ميولاته الخاصة للإيديولوجية العلمانية، بل تظهر على متن الرواية بشكل جلي، أبعد الكاتب كل البعد الموضوعية، ويأتي هذا الدعم لإيديولوجية الثنية باعتبار الأولى عنصرا هاما سبل طاقتها الدين، لذا جاءت شخوصه منحرفة أخلاقيا قائمة في أساسها على الظلم و الاستبداد و البطش، لذلك القمع الروحي و الجسدي.

إن عدوانية الكاتب لعنصر الدين جاءت من رؤيته الخاصة لمدة القضية، فهو يرى أن الدين نوع من التخلف، ولا يرى مبرا لوجوده، وبهذا المفهوم القاصر للدين يؤسس الكاتب إيديولوجيته الخاصة به، والتي تجلت جميع الشخصيات الروائية، فالدين هو المسبب في فساد جميع الأنظمة، هو من قاد البلاد إلى بؤرة التوتر والضياع، كما نلمس ذلك في الرواية،

فالمتسبب في أوضاع البلاد فيما بعد أكتوبر هم حراس النوايا أو بني كلبون على حد قوله، وينعتهم بنعوت كثيرة أهمها:

- حراس النوايا لا يأتون إلا عندما تخسر المدينة سحرها، وتقود بخطى حثيثة إلى ريفها الشتوي.
- يلبسون القبعة الأفغانية ونعالة بومنتن و القشابية و المعطف الأمريكي من فوق وملتحون.
- رائحة عطورهم القاسية تسبقهم، عطر يشبه في قوته العطر الذي يسكب على جثث الأموات.
- معظم حراس النوايا يعيشون شذوذا وانحرافا جنسيا رهليا.
- أقاموا سوق إسلامية شوهوا بها البلاد وشرطة إسلامية بيد من حديد.

لا يكتفي الكاتب بنعتهم بهذه الصفات وفقط، بل يسعى في كثير من الأحيان غلى تعميقها من خلال ممارستهم داخل المتن الروائي، فهم من أجهزوا على "مريم" بعد أن أغلقوا صالة الرقص التي تمارس فيها هوايتها، وهم من طردوا "أناطوليا" إلى بلادها متحسرة بعد عدة تهديدات وجدتها في البيت، آخرها مقتل كلبتها إنذارا بمقتلها، وهم من كانوا وراء انتحار البطل على جسر تليملي حينما أدرك أن لا جدوى من الحياة، إذا كان من يعيشها لا يعرف قيمتها، ولا يقدر قيمة من حوله.

و نخال هذا التصوير خدم البناء الدرامي للرواية وفقط، بقدر ما أرو ظمأ الكاتب نفسه حين صب جم غضبه وحقده على السياسة من عارضوه.

ففي الصراع الدرامي على متن الرواية بين المرجع الديني و العلماني، يقف الروائي نهاية المطاف إلى جانب المرجع العلماني، وتتحول الشخصيات للمرجع الديني شخصيات مشلولة، نتيجة هيمنة الخطاب الايديولوجي الواحد.

فرواية "سيدة المقام" تلامس بكثير من الجرأة و العمق مقدمات الحقبة الدموية، وتطرح قضية سياسية خالصة في جوهرها، تتناول فيها أزمة الهوية، والبحث عن الذات وسط جل المتناقضات المعروضة على الساحة الوطنية في هذه الفترة، الذي سج صعود

إيديولوجيات كثيرة من بينها إسلامية، كما قرأنا من خلال مطارحات نظرية على الايديولوجيات السياسية، على لسان السارد و الشخصيات ف"مريم"، بطلة "سدة المقام"، لم تسلم من المعاناة التي تسبب فيها اعتقاد الكاتب التيار الديني وفقهاء الظلام، فهم معادون كل مظاهرات التقدم و التحضر، كما أن الرواية تكاد أن تدين السلطة في تغذية العنف من خلال سياستها الاقتصادية و التربوية و الاجتماعية، " كان حراس النوايا كل يوم يغلقون أبواب الصالات الفنية، ويوقفون بالقوة السهرات و يطاردون رجالات المسرح و ينددون بالكتاب في المساجد، شيء خفي كان يعمل بالقوة على المدينة، يحركون رئيس البلدية ثم مدير المدرسة الذي لا يملك أي إحساس فني، فوضعه بني كلبون في هذا المنصب ويشتغله حراس النوايا..."[1].

[1]واسيني الاعرج، مرجع سابق، ص37.

ثانيا/ الإرهاب

"لقد حاولت رواية الأزمة عند "بشير مفتي" و "أحلام مستغانمي" و "الجيلالي خلاص" و "حميد عبد القادر" و "واسيني الأعرج" وغيرهم من رواد هذا الصنف الروائي الجديد أن تقرأ المجتمع الجزائري في ظل التحولات التي ميزته في هذه المرحلة الحرجة، وتكشف الواقع الجزائري محاولة تفسير التصدعات التي تهزه يوميا، خاصة من الناحية السياسية التي تزداد تأزما في ظل الإيديولوجيا التي تبنتها السلطة والحزب الإسلامي وآثارها على الانسان الجزائري، الذي عانى الأمن، فطرحت موضوع الارهاب الاسلاموي و العنف بأشكال عديدة كالقتل و السرقة و الاغتصاب و التعذيب"[1]، فصورة الارهاب في رواية الأزمة كانت لها حضور قوي، فكانت هي الأساس، كيف لاظ وهاته الفئة هي المسبب الرئيسي في هذه الأزمة الأمنية خاصة، حيث صدرت الارهاب بأشكاله و أفعاله الشنيعة و الايديولوجية التي يعتمد حيلها، فتنوعت أسمائه، وتعددت أشكاله، فهو يعمل على خديعة المواطن الجزائري خاصة الطبقة الكادحة والمواطن البسيط، وامتصاص تلك الثقة التي ربط الشعب بالسلطة و زرعت الفتنة بين الطبقتين، وعلى هيئة دولة اسلامية ذات قيم تتماشى مع الدين الاسلامي، تغري الشعب الجزائري، وفضح السلطة الحاكمة باسم الدين.

هذا ما أوضحه "واسيني الاعرج" في روايته "سيدة المقام" حيث أعطى وصفا لهذه الفئه المدمرة للوطن، يقول: " ينتشر في المدينة مثل رياح الجنوب الساخنة، تعرفين انهم لا يأتون الا عندما تخسر المدينة سحرها وتعود بخطى حثيثة إلى ريفها الشفوي، الذي لا يقبل الا بطقوسه، مدينه ساحليه كانت تعشق الالوان ووقوفات النوارس البيضاء، صحرها بنوكلبون، ويجهز عليها الآن حراس النوايا، القبعة الأفغانية، ونعاله بومندل والقشابيه والمعطف الامريكي من فوق ونفي العطر والحضارة من ذاكرة الناس، تتشممهم من بعيد،

[1] سلمان كامد، الموضوع والسرد، مقاربة تكوينية في الأدب القصصي (دراسة لأدب مقتدى عيسى صقر فنية وموضوعاتية)، دار الكندي، أربد، الأردن، دط، 2002م.

فنغير المعابر والطرقات، رائحه عطورهم القاسية والعنيفة تسبقهم، عطر يشبه في قوته العطر الذي يسكب على جثث الأموات".[1]

فنلاحظ أنه يوجد إسمان، الأول " بنوكلبون" حيث أطلقها عليهم في الفترة الأولى عند معيشهم، وذلك لوحشيتهم و همجيتهم اتجاه الشعب، خاصة المثقف الذي يعتبرونه مشكلة، "بنوكلبون قالو رجل يفكر معناه مشكلة".[2]

وتعتبر رصاصة أكتوبر 1989م الفاصل الزمني بين زمن بنوكلبون وزمن حراس النوايا، وأطلق اسم "حراس النوايا" الذي عرفه في صلب النص، وذلك من خلال أوصافهم: (من صفاتهم أنهم يقرأون في عينيك ما تفكر به، ولا يهم إن كان صحيحا أو غير صحيح، المهم أنهم فكروا).[3]

هذا المصطلح المركب يعكس بوضوح الدور الموضوعاتي الذي تقوم به هذه الفئة، (إنما تحرس النوايا) فهي فئة تتغلغل أفقيا في صلب النظام السياسي والاجتماعي، (أترك الفوضى تزداد فهذا يعجل بسقوط النظام)، فكل هذه الأقاويل تدل على نواياهم الخبيثة و الهدف من دخولهم البلاد، فهم أكملوا ما جاء به بنوكلبون (بن كلبون قتلوا داخله، والقادمون الجدد حراس النوايا كملوا على الباقي).[4]

حيث يبين الراوي أن نفس الفئة ومن نفس المخرج بنوكلبون هم حراس النوايا، إلا أنهم غيروا في لباسهم وطريقة تعاملهم، (قلنا خرجوا بنو كلبون وأصبحنا ديمقراطيين، وها فجأة نكتشف أنهم غيروا اللباس فقط، ليصبحوا هم هم حراس النوايا، يدخلون في الأبواب على دمنا وعلى أنقاض الرصاصة التي تنام في دماغك).[5]

[1] واسيني الاعرج، مرجع سابق، ص12.

[2] المصدر نفسه، ص216.

[3] المصدر نفسه، ص220.

[4] المصدر نفسه، ص214.

[5] المصدر نفسه، ص194.

فبني كلبون هم من عبدوا الطريق لحراس النوايا وسهلوا لهم مأمورتهم، خاصة تصرفاتهم اتجاه الطبقة المثقفة،(بني كلبون قالوا رجل مثقف معناه مشكلة إضافية، ولكنهم كانوا يعبدون الطريق لحراس النوايا الذين يقولون رجل جاهل رجل مضمون).[1]

فهمهم الوحيد السيطرة على السلطة و القضاء على الهوية وزرع الفتنة في أوساط الشارع، (حراس النوايا عندما يأتون بكل شيء، بالريح الساخنة، و الشموس الحارقة، والجفاف الصحرواي، والعيون البغيضة والخيل المترهلة، والسيوف المعتوقة والمال الآتية من تاريخ العواصف المكررة "حراس النوايا" القادمون الجدد عندما يأتون تسبقهم القيامة التي يصنعها فقر الناس و بؤسهم، يجيئون زرافات ووحدانا، يستمعوا إلى دقات قلوب الناس، يقتنعوا في النهاية أنهم دقات مستوردة من الخارج البغيض).[2]

(شفاههم مهدلة تسيل لعابا على السلطة التي صارت على مرمى العين)،[3] ممارسون كل أنواع السلطة من ترهيب و ترغيب، من أجل الاستلاء على الحكم ، حيث بينت الرواية إيديولوجية هاته الجماعة التي أصابت الفساد ذو الدمار وتحطم كل ما هو جزائري، فهم يظهروا للناس بمظهر سليم، مظهر الخائف على الوطن، المتمسك بالشريعة الاسلامية، تحت مسمى الدين كأن يقنعون الشعب وخاصة القرى التي تعاني ولا تعرف شيء سوى تصديقهم(نحن في مرحلة انتقالية، الدولة الاسلامية قادمة، إما أن ترجع للطريق المستقيم وإما يطير راسك، ويطير راسك أفضل لنا ولك و للمجتمع).

"يحاولن أن يظهروا للناس بمظهر الخائف على مصالحهم ويعملون على إغراء أصحاب التجارات(جاءتهم جماعات الهداية وحراس النوايا، قالوا لهم غيروا ونساعدكم على تغيير تجارتكم، نعوض الخسارات) ، فهم دنسوا السلطة وامتصوا القة بين الشعب و السلطة وحتى الشعب في حد ذاته أصبح متخوف من الشارع لأنهم يتوقفون في الأزقة و يطلبون

[1] واسيني الاعرج، مرجع سابق، ص215

[2] المصدر نفسه، ص158.

[3] المصدر نفسه، ص49.

وثائق كأنهم هم الذين يحكمون البلاد، (شرطة إسلامية، شرطة اسلامية، اوراقك شكون أنت أولا) ، (الدولة الاسلامية، الدولة الاسلامية قادمة).[1]

(فوجئت بالزقاق مغلقا وبلافتة عريضة كتب عليها سوق اسلامية)[2].

الإمام الناشئ كان يطل من فوق)[3]، فأقاموا سوق إسلامية شوهوا بها البلاد، وشرطة اسلامية ضربت بيد من حديد، وأثبتت حضورها في ظل تلك الظروف التي يعيشها الشعب الجزائري، وتعدد الاتجاهات و الطرقية التي سببت في ذلك، وكذا اختلافهم في التيارات السياسية و الايديولوجية، واستعمال الدين الاسلامي كصورة سطحية لحراس النوايا، واستغلالهم لمبادئه، تلك الوجوه المغتربة الأجنبية صارت تعلم الجزائريين في ديانتهم الصحيحة،(الوجوه المستوردة تعلمنا ديننا وأخلاقنا كأننا فجأة نكتشف الاسلام)[4]، متى فقدت السلطة مصداقيتها بعد تلطخها بهذه الفئة، (العداوة ازدادت و السلطة لو تغسل بالجافيل لن تستعيد جزءا صغيرا من مصداقيتها، هي التي خلقت حراس النوايا، وهم الذين يأكلون رأسها، أو تأكل راسهم)[5]، هكذا إذ حتى اصبح لهذه الفئة نظام محكم يتسلطون به على الشعب، أينما ذهبت تجدهم، أينما حلوا حل الفساد، (حراس النوايا بدأوا يعولون إلى جيش منظم يتحكم في عنفوان المدينة، تعرف؟، بدأت أشعر بأنه لا يوجد أمن في المدينة أبدا).

أما من ممارساتهم الفعلية الإجرامية فلقد تعددت في المتن الروائي، فهم من أجهزوا على "مريم" بعدما أغلقوا صالة الرقص التي تمارس فيها هوايتها، (الصالات تقفل، بعضها أعطي إلى الجمعيات الحزبية).[6]

وهم من طردوا أناطوليا إلى بلادها متحسرة بعد عدة تهديدات وجدتها في بيتها، آخرها مقتل كلبتها، إنذارا بمقتلها، وهم ما كانوا وراء انتحار البطل على جسر تليملي، هم

[1] واسيني الاعرج، مرجع سابق، ص225.

[2] المصدر نفسه، ص218.

[3] المصدر نفسه، ص207.

[4] المصدر نفسه، ص199.

[5] المصدر نفسه، ص163.

[6] المصدر نفسه، ص164.

من يغتصبون المارة(يجرون ألبسة بيضاء تظهر معاناتهم، يختبئون في الزوايا بحثا عن امرأة تعبر شعاعا في ساحة ما من الليل، حتى تكون مع رجل يتفرجون، يتشممون الروائح من بعيد، ثم فجأة يغلقون عليك الطريق).[1]

فحراس النوايا أعلنوا حربهم ليس على السلطة فقط، بل على كل مظاهر الثقافة و الفكر، بحجة قتل كل الملحدين و الخارجين على الشريعة التي يتبعونها.

تقول "مريم": يقتلون من؟، قالت أعداء الله، قالت: من أعداء الله؟، الشيوعيون، حرب فرنسا، البربر، الملحدون، العقلانيون، جمعيات العهر والفسق ...؟).[2]

إذا هذه الصورة التي جسدها الكاتب في روايته هي مرآه عاكسة لتلك الفترة الحرجة، التي عاشتها البلاد إبان العشرية السوداء، التي افتقدت للأمن والسلام، بسبب الارهاب الذي أدخل الشعب في حالة يرثى لها، من حالات اغتصاب وتكبيل وعنف وتدمير، وتحطيم أمة بأكملها، هذا الإرهاب الذي بقيت تعاني منه الجزائر حتى وقتنا هذا.

[1] واسيني الاعرج، مرجع سابق، ص35.

[2] المصدر نفسه، ص35.

ثالثا/ صورة المثقف

يعد المثقف من أهم فئات المجتمع، لما يحمله من قوة تأثير في تغيير الواقع وإصلاحه، و للمثقف تعريفات عديدة لا يمكن حصرها بسبب المعايير المعتمدة، فهناك معايير تعليمية، سياسية، اجتماعية، وأخرى وظيفية، "فالتعريف الذي طرحه غرامشي يضعنا أمام نوعين من المثقفين، مثقف متخصص، وآخر عام، أما المتخصص فهو الذي تنتمي سمعته إلى حقل إنتاج المعرفة التقنية بشكل مباشر، ويدخل في ذلك الذي ترتبط مهنته بالإنتاج كالعمال و الفلاحين".[1]

اتخذت رواية الأزمة من المأساة الجزائرية والوطن النازف، موضوعا للحكي، ومن المثقف فاعلا رئيسيا، وذات محورية التي تخضع لحالات وتحولات البنية السردية في مسار سردي ينبني عليه برنامج سردي يتحكم في الرواية، وهذا راجع لمكانة المثقف داخل المجتمع، فهو مصدر وعي وتحضر وكمنبه للأحداث، ويصور و يتنبأ في بعض الأحيان، وهذا ما يسبب لشخصية المثقف العديد من الأحداث، فهو دائما مهدد من كل الأطراف بصفته مؤثرا في مجرى الأحداث، ومشاركا في القرارات، وهذا ما جسدته رواية "سيدة المقام" في العديد من الشخصيات المثقفة التي عانت في ظلا الظروف التي تسببها بنوكلبون أولا، ثم حراس النوايا، الذين استهدفوا المثقف الذي رأوا أداة فضحهم وفضح فكرهم وأفعالهم التي أتو لأجلها، (تقول مريم "شخصية مثقفة": فكرت أن أعريهم وأخرج عقدتهم من عيوبهم مع صفرة القبح الذي يملأ داخلهم)[2].

هذا ما كان يخشاه حراس النوايا، أرادو أن يعدموا الثقافة ككل، (هذه البلاد تربت على معاداة الثقافة)[3]، (هؤلاء الناس يكرهون الثقافة)[4]،(إنهم يقتلون الجياد في هذه البلاد)[5]، فهاته

[1] واسيني الاعرج، مرجع سابق، ص.74

[2] المصدر نفسه، ص74.

[3] المصدر نفسه، ص75.

[4] المصدر نفسه، ص75.

[5] المصدر نفسه، ص184.

الجماعات الإرهابية عملت على تثبيط النشاطات الثقافية وذلك بغلق الصالات وإيقاف أي نشاط، والوقوف أمام كل عمل ثقافي،(كان حراس النوايا كل يوم يغلقون أبواب الصالات الفنية ويقفون بالقوة أمام السهرات، ويطاردون رجالات المسرح، ويندون بالكتاب في المساجد)[1].

إذن المثقف في رواية "سيدة المقام" يعاني من هذا الخناق و التضييق من طرف حراس النوايا، حتى وصل إلى تهديده بالقتل، (إننا نلقى تهديدا بغلق المعاهد، ولدي مسؤوليتي أكثر من ألفا طالب أرميهم في المزبلة)[2]، وكذا تهديدهم لأستاذة الرقص الأجنبية، "أناطوليا" بطريقة غير مباشرة، (تعرض أناطوليا للسرقة، وتقدمت بشكوى لشرطة، قالوا لها: البلاد هكذا، غابة، دغل من ادغال افريقيا ... وفي المرة الثانية كان التهديد صريحا...، وجدت رسالة " عودي إلى بلادك أيتها الشيوعية القذرة)[3]، وقتلوا كلبتها تهديدا وتنبيها لها، وعن شخصية مريم التي قاومت تلك القمع، والمعاناة من أجل الوصول لأمنها، فرصاصة اكتوبر أكبر دليل على اهتمام حراس النوايا بالمثقف وتوقيفه، (أنتم الفنانين وجوه البؤس، يجيكم الخير حتى للفم وتضيعوه، دبر راسك)[4].

فالمثقف في رواية " سيدة المقام" يتعرض لمختلف أساليب القمع و العنف المادي والفكري، فهو ليس متحررا، بل تمارس عليه طقوس عديدة تثبط نشاطه ودوره في المجتمع، لكن رغم هذه الظروف، إلا أن شخصية المثقف في الرواية كانت مقاومة للجماعات الارهابية، خاصة شخصية "مريم" التي ورغم تلك الرصاصة التي سكنت رأسها بقيت تمارس مهنتها، (أنا أكبر من بؤس هذه الرصاصة)[5]، (سأرقص ولو قطع رأسي)[6]، (رصاصة في

[1] واسيني الاعرج، مرجع سابق، ص190.

[2] المصدر نفسه، ص200.

[3] المصدر نفسه، ص41.

[4] المصدر نفسه، ص38.

[5] المصدر نفسه، ص140.

[6] المصدر نفسه، ص158.

الرأس ومازالت حية)[1]، فهي نموذج لتلك الانسان الجزائري الذي لا يوقفه شيء وهو حر في بلاده، وع المعاداة التي تشهدها الثقافة من طرفين، الأول تمثل في حراس النوايا، والثاني تمثل في السلطة في حد ذاتها، فهي لم تهيء الجو الذي يخدم المثقف، بل وقفت ضده، لكن بقي المثقف يجلب الناس للصالات ، وقاوم هذه الظروف(ومع ذلك فالناس يتدافعون على الصالة)[2]، (هذا وطني ولا خيار لي سواه، سأقاوم، وقاومت ...)[3].

وفي ظل هاته الظروف التي يعيشها المثقف في الروايتين من اضطهاد و عزله عن عمله، والكرب المعلنة على الفن، بدأت أعماله تتراجع حتى حولت مراكز الثقافة إلى مراكز تهم، (كمراكز ايواء واسكان المنكوبين بها، من أجل الوقوف أمام المثقف) ، عندما يصل حراس النوايا يكون حلما قد شارف على نهايته، وعندما يصدرون فرمانات منع الحلم، يكون الزمن قد انتهى)[4]، (لقد صار مؤكدا أن عرض شهرزاد لن يؤدي بعد التمديدات بغلق الصالة)[5]، إذا، وجد المثقف نفسه أمام خيار واحد وهو التراجع في ظل هذه الحرب النفسية والمادية و الأمنية، فشخصية مريم رغم محاولة معاشاتها مع الرصاصة التي بقيت في رأسها إلا أنها حلمها بدأ يذوبن (سأقدم شهادتي أمام لجنة حقوق الانسان، واللجنة المضادة للتعذيب، سأقول أنهم استعملوا الرصاص الانفجاري)[6]، حيث استسلمت لوضعها الحرج، وتلوم في الرصاصة التي منعتها من إكمال مشوارها في الرقص، (لولا بؤس تلك الرصاصة ومأساة الجمعة الحزين)[7]، حتى فارقتها الحياة بسبب تلك الرصاصة التي أصيبت بها، وكذلك بالنسبة لأستاذتها الأجنبية "أناطوليا" التي لم تجد راحتها، ورغم صمودها، إلا أن التمديدات تتوالى من أجل الرحيل أو القتل، ورغم شكوتها الى الشرطة إلا أنها لم تجدي

[1] واسيني الاعرج، مرجع سابق، ص39.

[2] المصدر نفسه، ص140

[3] المصدر نفسه، ص230.

[4] المصدر نفسه، ص214.

[5] المصدر نفسه، ص187.

[6] المصدر نفسه، ص271.

[7] المصدر نفسه، ص63.

نفعا، فهم يد واحدة مع حراس النوايا الذين تحكموا في البلاد، حتى أدى بها غلى الرحيل لمدينتها.

إلا أن المثقف يتأثر بعده عوامل في الرواية كالعامل النفسي و الاجتماعي، فالعامل النفسي مثلا ، هو ناتج عن عامل اجتماعي بالدرجة الأولى، فالمثقف يعيش حالة هستيرية نتيجة الاضطهاد و الحسرة و مصادرة الحريات، فيتأثر نفسيا، ويعيش حالة من الاضطرابات النفسية، تتجلى في الاغتراب و التقوقع حول الذات، وحتى الانتحار أحيانا، هذه الظروف التي مرت على الراوي والاستاذ الذي تحصل على الدكتوراه ولم يجد عملا، وكانت نهايته عسيرة بسبب الظروف التي يعيشها، والمعاناة التي لحقته، (أنا الرجل الصغير المفرغ من داخله، ما زلت أتمرس وسط هذه الساحة المغلقة، ينتابني حزن عميق، حزن الذي لا يملك أي جواب لدهشته، خائف من النزول إلى المدينة، أي مدينة أيها الرجل الصغير؟، لقد كنسها حراس النوايا جرعة مذهلة)[1]، فمن خلال هذا المونولوج الذي أقامه مع نفسه بسبب حالات العنف و الارهاب التي يشهدها يوميا، ازدادت حالته النفسية تدهورا، فدخلوه في هذا الاغتراب النفسي الفظيع ، من المؤكد تكون عاقبته وخيمة، وبالفعل هذا ما راح إليه الأستاذ، بدأت تريس أوراقه مثل دحاجة خضراء، نزعت ورقته الأولى بصورتك الملونة، ثم الورقة الثانية والثالثة، بعدها صار جواز سفرك مثل كراس مدرسي لطفل بليد، دحرجته من فوق، سمعت صوته وهو يرتطم بالوحل بقوة شديدة لا وطن لي، وطني الوحيد داخل قلبي ولون عينيك ... لقد حرت بدون شيء يثبت وجودي، أساسا كانت هذه القيامة التي أحياها قد سجنتني من وطني و ألغتني)[2]، شعوره بعدم قدرته على اختيار مصيره و التأثير على ما يحصل في المجتمع، وحتى قراراته الشخصية، أدت له إلى حالة عزله عن المجتمع وانتحاره.

[1] واسيني الاعرج، مرجع سابق، ص201.

[2] المصدر نفسه، ص276.

رابعا/ صورة الموت

تعتبر صورة الموت من أهم السمات التي تتسم بها رواية الأزمة، فبوجود جماعات ارهابية وممارستهم الإجرامية و الشنعة التي يمارسونها اتجاه المجتمع، من المؤكد أن تكون هنالك حالات قتل، وبأبشع الأساليب، وبأنواع متعددة، وأمام مرآة الناس، هذه هي تصرفات الإرهابيين يقتل ويهدد، وهذا ما تجسد في رواية "سيدة المام"، تعددت صور القتل وتنوعت، حرق وذبح وانتحار، تعذيب حتى الموت، حتى أصبح الموت عندهم شيء عادي، (كان من الصعب عليا تصديق ما حدث، الموت يبدو سهلا في هذه البلاد الكئيبة)[1]، بالطبع تكون الموت سهلة في الوطن، مثله الارهاب الذي دمر كل شيء، و تهدف إلى حكم السلطة مهما بلغ عدد الأرواح.

ومن صور الموت التي جاءت في الرواية، موت "مريم" التي عانت مع الرصاصة التي ثقبت دماغها، وماتت وهي ساكنة في رأسها، وكذا قوله:" بعد أحداث 5 أكتوبر عندما كان الناس يدفنون موتاهم، كنا في المطعم، عندما دخل علينا رجل ملتح بدأ يتشمم الوجوه، كل واحد يدفن أبوه مثلما يريد، بدأ يبسمل ويحوقل و يمسد على لحيته ليصبر من حراس النوايا)[2].

فكل هذه المقاطع أكبر دليل على كثرة الموت التي تشهدها الجزائر في العشرية السوداء، وتلك المجازر التي كان ورائها الجماعات الارهابية و الذين أطلق عليهم الكاتب " حراس النوايا".

كذلك صورة موت الأستاذ الذي انتحر بسبب حالته النفسية التي وصل لها، وحالته حزن وكآبة، ونظرته للواقع المعاش، ومكانته التي وصل إليها كمثقف مهدد من كل الأطراف، فهو يقرر الانسحاب النهائي، فالرواية تتصور الموت الملاذ الوحيد، والحل الأنجع والأضمن لإنهاء أزمة الوجود في الذات ، ومجتمع ينفي كل منهما الآخر و يرفضه بقوة،

[1] واسيني الاعرج، مرجع سابق، ص13.

[2] المصدر نفسه، ص210.

وقبل أن يلقي بنفسه من على هذا الجسر يمزق بطاقته الوطنية بأسف كبير(ما معنى الهوية في وطن ليس لك)[1]، ثم يسحق نظارتيه تحت قدميه كانتا تحملان أستاذيته وبكبرياء، وجواز سفره، حتى جاءت لحظة تصفية حسابه مع نفسه، فبينما صوت فيروز ينبعث من أحداث البنايات العالية، صرخ بأعلا صوت: (أيها القتلة أخرجوا من قيامتنا، أخرجوا من أحزاننا و أفراحنا، أتركونا نموت ونحيا كما نشاء، أيها القتلة أخرجوا من أصدائنا وأشلائنا، أخرجوا من دورتنا الدموية)[2]، وعلى أصداء وقع هذه الكلمات يلقي الأستاذ بنفسه على الجسر، لينسحب نهائيا وبشكل اختياري من العالم.

ونفس المصير التي صارت عليه صديقة مريم،(تذكرت صديقتي الشاعرة "صافية كتو" التي قتلتها المدينة، فرمت نفسها من أعلى القمة في جسر تليملي الذي يربط أسفل المدينة بمرتفعاتها)[3].

[1] واسيني الاعرج، مرجع سابق، ص237.

[2] المصدر نفسه، ص283.

[3] المصدر نفسه، ص220.

خامسا/ صورة العنف

تتجسّد صورة العنف في الرّواية، سواء أكان عنفا ضدّ الحرّيات الشّخصيّة، أو تعدّيا جسديّا، وخير دليل على ذلك الأمثلة التّالية: " إنّك تتسبّبين في فوضى كبيرة داخل المؤسّسة، أنت مجرّد متعاونة وكفى، بلا ربّي ما راكي قاعدة دقيقة في هذه البلاد، راح تشوفي وين توصل هذي المهزلة"[1].

يظهر لنا أنّ أستاذة الرّقص تعاني من مضايقات وإهانات من طرف مسؤولين جزائريّين بسبب ممارستها لفنّ الرّقص، لذلك أجبروها على المغادرة دون أيّ مبرّر أو سبب، ولم يحترموا رغبتها في العيش في الجزائر. وكذلك قوله:" قبضوا على مسؤول الشّرطة، وضعوه داخل إطارات السّيّارات، ثمّ أشعلوا فيها النّار بعد أن كبّوا عليها البنزين، كان عاريا مثل الفأر"[2].

كما تتجلّى صورة العنف في العديد من المقاطع، منها:" ثمّ بدأت تحكي عن الرّجل الذي كان ساقطاً تحتك بعد الهجوم على ثكنته (باش جرّاح)، كان جسمه مليئا بالرّصاص، كنت أظنّه ميتا، أردت غلق عينيه المفتوحتين، فجأةً صرخ بأعلى صوته، أولاد الحرام، أولاد الكلبة، الطّحّانين... استسلم للموت رغم مقاومته"[3]، فهذا المقطع يوضح مدى وحشيّة الإرهاب وقسوته، فأحدهم يعلّق على إصابة مريم برصاصة قائلا:" احمدي الله أنّك ما زلت حيّة، لو أصابتك رصاصة انفجاريّة في الرّأس لا ترحم؟ يقولون أنّهم كانوا يضربون الأرجل، والعجب أنّ كثيرا من الصّدور كانت ممزّقة، والأدمغة متفجّرة، شيء غامض كان يحدث في الخفاء"[4]، فماذا بعد رصاصة في الدّماغ، وهو يقول احمدي الله، دون أن يترحّم عليها، فهذا دليل على أعمال القمع والتّعذيب التي يمارسونها تُجاههم، فكلّ أشكال القمع قد استعملوا، من حرق وقطعٍ للرّؤوس، والانفجارات التي لا تبقي حتّى الجثّة على حالها، بل تذوبها. وتجلّت

[1] واسيني الاعرج، مرجع سابق، ص41-42.

[2] المصدر نفسه، ص127.

[3] المصدر نفسه، ص127.

[4] المصدر نفسه، ص151-152.

كذلك في احتقار المثقّفين، ويظهر في قوله:" أتحسس رأسي من ضربة حرّاس النّوايا وشتائمهم "يا ولد القحبة؛ واش هذا الرّبّاني اللّي جبتوه لي؛ أستاذ الفنّ والفسق والخلاعة ! طحان[1]، وقوله أيضا: " أنت من رعاية هذا البلد. لم تملك بعد حق المواطنة، غريب في وطن سحب من عينيك بعنف شديد. من تكون، رموك في مزبلة في نهاية المطاف. شحنوك في أول سيارة بلدية مخصّصة لجمع القمامة، ثم رموك مثل الأشياء المستهلكة في مزبلة الأحياء الفقيرة"[2].

فرواية الأزمة يغلب عليها طابع العنف والإرهاب، وتكثر فيها مواضيع التعذيب، خاصة تجاه المثقف الذي لا يخدم مصلحة الجماعات الإرهابية، فهم يعملون على تعذيب هذه الطبقة التي لها القرار في مصير الأمة، وبناء مستقبلها، فالعنف ضد المثقف وقتله بأبشع الطرق كعبرة لمن يقف أمامهم يضعونه ليرهبوا به كافة أفراد المجتمع.

[1]– واسيني الأعرج، مصدر سابق، ص230.

[2]– المصدر نفسه، ص232.

الخاتمة

- العشرية السوداء من أهم المراحل التي ضربت استقرار الدولة الجزائرية.
- إن جل الأعمال الأدبية التسعينية تتبلور موضوعاتها حول المأساة الوطنية وصور العنف و الارهاب التي ظهرت خلال هذه المحنة.
- المثقف من أهم المواضيع التي اهتمت بها رواية المحنة، ولقد لعب المثقف دور البطل أو الراوي في أغلب الروايات.
- المرأة عنصر مهم في رواية الأزمة والتي مثلتها مريم في رواية سيدة المقام.
- لقد تميزت رواية الأزمة الجزائرية بالميل إلى الجرأة في الطرح وتحطيم التابوهات إذ تناولت قضايا الدين و الجنس والسياسة، وخاضت في الأمور المسكوت عنها وبلغة تتصف أحيانا بالفحش.
- يعد موضوع الجنس الوعاء الذي تشكلت فيه مضامين رواية "سيدة المقام" وعلى رأسها أسئلة الهوية والبحث عن الوجود ومساءلة التاريخ ومحاكمته، فلم يعد هناك محضور أمام الروائي، ولم تعد هناك مواضيع شريفة ومواضيع منحطة، لذلك يصور واسيني شخوصه وهم يمدون أياديهم الى نهود النساء للتمتع، وتأتي سيولة هذه الالفاظ الجنسية بلغة عامية بحتة.
- واسيني من خلال تصويره للألبسة الاسلامية يعتبر إن هذه المظاهر إعلان عن العودة إلى العصر البدائي، عصر سيطرة الأفكار الدينية، إنه زمن تتحكم فيه الميتافيزيقا و اللاهوت، وبطبيعة الحال فالكاتب تظهر أيديولوجيته المنافية لكل فكر ديني.
- رواية استعمل فيها واسيني الأعرج تقنيات سردية عالية، مشاهدتها تتراوح بين الواقع والحلم، اقرب للشعرية، شخوصها مرسومة بعناية فائقة، أمكنتها وأزمنتها تعطي للرواية صيغة الواقعية.
- شهدت الرواية من بدايتها إلى نهايتها صراعا بين فئتين (الفنان، حراس النوايا) فئة تتحرك من موقع رغبتها في الوجود والحب، وفئة تتحرك من موقعها رغبتها في اخضاع البلاد لحكم تعسفي.

وفي الأخير لقد تمكنا في هذا العمل المتواضع من الاطلاع على فترة مهمة في تاريخ الجزائر ألا وهي: محنة التسعينات، و التي كانت عبارة عن محطة جديدة، حيث أبدع الأدباء بكتاباتهم المتنوعة والمختلفة، كاسرين كل الحواجز والقيود.

وقد توصلنا بعد دراستنا هذه المتحررة حول: "أدب المحنة في رواية سيدة المقام لواسيني الأعرج إلى أهم النتائج:

- رواية الأزمة هي التي اتخذت الازمة الوطنية موضوعا لمتنها الحكائي، فصورت الواقع المؤلم كما هو، لكن برؤيا ابداعية فنية ترفض أن تكون صورا مكررة لرواية التسعينات المؤسسة، فصورت هذه الأزمة بمختلف أبعادها: النفسية و الايديولوجية و الاجتماعية و السياسية و الثقافية، فكانت مهمومة بقلق الذات وألم المجتمع فجاءت تحديا للموت ورهانا على الحياة.
- رفض رواية الأزمة الأسس الجمالية والايديولوجية السائدة، وتسعى إذ ذلك التمرد على السائد.
- كشفت رواية الأزمة عن وعي خاص من لدن الذات الروائية، التي عرفت كيف تفضح بكثير من الجرأة، ونقل الحقيقة رغم كل التهديدات الت كانت تتعرض لها في كل لحظة وحين
- لقد استطاعت أن تثبت أن الارهاب نتيجة تكاد تكون طبيعية وحتمية للظروف السياسية والاجتماعية والتاريخية، وتصاعد التطرف الديني، وتعنت للسلطة في الجزائر.
- تعدد صور الارهاب و العنف في رواية الأزمة، كعنف السلطة في المعتقلات والسجون وعنف الجماعات الاسلامية في كل مكان.
- لقد صورت الرواية مجتمعا غلب عليه الظلم والفساد، وتراجع فيه الخير والأمان وانعدمت فيه الثقة والطمأنينة، وصار القتل في أبشع صوره سيدا ومألوفا.

● الرواية بحق تمثل معاناة بشرية، وهي في تداخلاتها وتواترها وإيحاءاتها الدلالية كشخوصها أنفسهم في لعبة الحياة بحثا عن قيم جديدة، تمنح التغيير بعده الصحيح حتى وإن بدا ذلك الآن رجعـــــــــــــــــــــــــــــا بعيـــــــــــــــــــــــــــــدا.

ملحق

نبذة عن واسيني الأعرج:

ولد واسيني الاعرج بتاريخ 08 أبريل 1954م في سيدي بوجنان بولاية تلمسان الحدودية، حصل على درجة الماجستير و الدكتوراه من جامعة دمشق، عندما أنهى دراسته عاد إلى الجزائر وشغل منصبا أكاديميا في جامعة الجزائر، وواصل تعليمه حتى عام 1994، وبعدها اضطر إلى مغادرة البلاد عند اندلاع الحرب الأهلية في التسعينات، وبعد أن قضى وقتا قصيرا في تونس، انتقل إلى فرنسا وانظم إلى كلية جامعة السوريون الجديدة، حيث درس الأدب العربي، ويشغل اليوم منصب أستاذ كرسي في جامعة الجزائر المركزية، وجامعة السوريون في باريس.

إنجازات واسيني الأعرج:

يعتبر الأعرج من أحد أهم الأصوات الروائية في الوطن العربي، فهو كاتب ف جميع البلدان الناطقة بالعربية والفرنسية، فمنذ أوائل الثمانينات نشر أكثر من عشرين رواية.

رواياته غالبا ما تتناول التاريخ المضطرب لوطنه الجزائر، ترجم بنفسه بعض كتبه إلى الفرنسية، وكتب اثنين على الأقل من كتبه بالفرنسية قبل أن تصبح متاحة باللغة العربية.

وضع الأعرج بصمته في الأواسط الأكاديمية و الأدبية العربية، وهو يحتل مكانة لا يمكن إنكارها بين الكتاب العرب الأكثر شهرة، حيث يعترف النقاد بمساهمته في تطوير الرواية الجزائرية بشكل خاص، فكانت رواياته موضوع عدد كبير من الأطروحات الجامعية في الجزائر وتونس.

في عام 2005م نظر المركز الجزائري للأنتروبولوجيا في وهران (مركز البحوث في الأنتربولوجيا الاجتماعية و الثقافية)، الذي اعترف بمكانته الأدبية، الاجتماعية والثقافية، ندوة لمدة يوم واحد نوقشت فيه أعماله وحللت من قبل أساتذة جامعة بارزين.

إن الأنشطة الثقافية العديدة لواسيني الأعرج في القارتين منحتاه درجة سامية لم يحققها سوى عدد قليل من معاصريه، كما ساعدته طلاقة لسانه باللغة الفرنسية على فرد أجنحته خارج البلدان العربية، ومما لا شك فيه أن أعماله المتميزة جعلته نموذجا يحتذى به لكتاب الجزائريين اللاحقين، ويبين نجاحه بوضوح أن نوعية العمل وجودتها هي التي تهتم وليست التعابير، ويتجلى الاهتمام المتزايد بكتاباته بمشاركته في المنتديات الدولية، كما أن نشر ترجمات لعدد كبير من كتبه، دليل وانعكاس لأهمية واهتمام القراء الغربيين به.

تعاون وزوجته زينب الأعرج الشاعرة و المترجمة في نشر مختارات من الأدب الافريقي باللغة الفرنسية بعنوان: " anthologies de la nouvelle narrations africaine" كما ساهم في انتاج برامج أدبية تلفزيونية للتلفزيون الجزائري وكان أيضا عمودا دائما لصحيفة الوطن الجزائرية.

تدور روايات الأعرج الأولى حول النضال من أجل البقاء ضد الظروف الطبيعية القاسية في المجتمعات الريفية، على الرغم من اهتمامها العام بالفقر وإشارته إلى إخفاقات المؤسسة السياسية في الجزائر، أما روايات هذه الفترة فتمثل عملية تطهير العواطف التي تقود إلى طفولة المؤلف خلال سنوات حرب الاستقلال وموت الأب أثناء النضال الوطني وتخلصه منها.

أهم الأعمال:

- رواية البوابة الحمراء – (وقائع من أوجاع رجل) 1980
- رواية طوق الياسمين – (وقع الأحذية الخشنة) 1981
- رواية ما تبقى من سيرة لخضر حمروش، 1982
- رواية نوار اللوز، 1983 ترجمة إلى الفرنسية 2001م
- رواية مصرع أحلام مريم الوديعة، 1984
- رواية ضمير الغائب، 1990
- رواية الليلة السابعة بعد الألف: الكتاب الأول: رمل الماية، 1993

- رواية الليلة السابعة بعد الألف: الكتاب الثاني: المخطوطة الشرقية، 2002
- رواية سيدة المقام، 1995
- رواية حارسة الظلال 1999 ، الطبعة الفرنسية 1996
- رواية ذاكرة الماء، 1997
- رواية مرايا الضرير، 1998 طبعة فرنسية
- رواية شرفات بحر الشمال، 2001 الترجمة الفرنسية 2003م
- رواية مضيق المعطوبين، طبعة فرنسية 2005
- رواية كتاب الأمير"، دار الآداب، 2005 الطبعة الفرنسية 2006م
- رواية سوناتا لأشباح القدس، 2009
- رواية البيت الأندلسي، 2010
- رواية جملكية أرابيا، 2011
- رواية مملكة الفراشة، 2013
- رواية رماد الشرق الجزء الأول: خريف نيويورك الأخير، 2013
- رواية رماد الشرق الجزء الثاني: الذئب الذي نبت في البراري، 2013
- رواية سيرة المنتهى عشتها كما اشتهتني 2014
- رواية حكاية العربي الأخير، 2015
- رواية نساء كازانوفا، 2016

و تضمنت المؤلفات الأخرى للأعرج ما يلي:

- المجموعة القصصية أسماك البر المتوحش 1986م.
- مجموعة رماد مريم مختارة من السيرة الروائية 2012م.

ملخص رواية سيدة المقام:

رواية سيدة المقام للروائي واسيني الاعرج، رواية تجسدت تصويرا لمشاهد هدم المجتمع المدني بأيدي أبنائه.

تواجه سخط المجتمع بنظرته القاسية لها، باعتبارها راقصة بالية، حيث تكشف لنا صفحات الرواية عن رؤية مأساوية ومفجعة بكل المقاييس، لأن موضوعنا الرئيسي يتمثل في موت مريم بطلة الرواية، إلا أن القصة الحقيقية وراء موتها و المعنى العميق لهذا الموضوع، هو انكسار النفوس وانضمار البلاد، و الانحلال الأدبي والثقافي.

إن شخصيات الرواية تعاني من صراع سياسي من أجل السلطة و السيادة وكونها شخصيات مثقفة:

مريم: راقصة البالية التي ستموت إثر نزيف دماغي بعد معاناتها في ظل وجود رصاصة طائشة في رأسها.

الراوي: أستاذ جامعي في الفن الكلاسيكي، والذي سيضع حد لحياته في نهاية الرواية احتجاجا ورفضا لما وصلت إليه البلاد من سوء المصير، وانتهاك حرمة الابداع وغربة المثقف في وطنه.

أناطوليا: أستاذة رقص البالية روسية، والتي سترحل إلى بلادها مكرهة ومرغمة بعد عطاء طويل من العمل في الجزائر(ربع قرن).

إن رواية سيدة المقام تتكون من احدى عشر فصلا، بحيث يتميز الأول على أنه مدخل شامل يتوجه فيه الراوي الى القراء، من خلال إبراز رسالة تفسر حالة انكسار الجزائر العاصمة (مكان وقوع الأحداث)، وما وصلت إليه من اضطراب.

تتميز هذه الرواية على أنها رواية ذاكرة واسترجاع، فالقصة تتصل أحداثها بين مستشفى مصطفى باشا، وهو مستشفى عام في الجزائر، وبين جسر تليملي الذي انتحر من فوقه الراوي إلا أن تقنيات كتابة الرواية فرضت على الكاتب التوسع في القصة، كذلك اتجه إلى

ترتيب الأحداث المكنونة في الذاكرة من خلال أحداث معاشة في الماضي، وأخرى معاشة في الحاضر، وإشارات في أحداث مستقبلية.

إن أحداث الرواية ليست مرتبطة فقط بالحنين إلى مريم رمز الحياة والحلم والحرية، رمز العاصمة قبل الاستحواذ عليها من طرف بني كلبون، وحراس النوايا وهم جماعات متصارعة فيما بينهم على الحكم والسلطة ومحاولين إلغاء الثقافة و المثقف من المجتمع الجزائري، بل مرتبطة بالحنين إلى الوطن الذي ضحى من أجله الجزائريين بأغلى ما يكون بالنفس والنفيس، حتى أصبحت تلقب ببلاد المليون شهيد، وذلك ما يتجلى لنا من خلال ثنايا الرواية، ونجد ذلك في تذكر الراوي والده الذي مات واقفا من أجل الجزائر.

إن الرواية تجمع بين نقيضين، الأشياء الجميلة و الأشياء القبيحة، حتى يكون واقع العمل أكبر وأعمق، فحول الأشياء من الأحسن إلى الأسوأ من خلال تصوير مشاهد اغتصاب البلاد، وكيف هضمت حقوق الشهداء الذين ضحوا بكل ما هو غال ونفيس من أجل هذه البلاد، كما يصور اضطهاد طبقة الكتاب و الفنانين من خلال سوء معاملتهم ودفعهم إلى الرحيل.

إن الفصول العشرة الأخرى بمثابة استرجاع وتذكر، ويتمثل ذلك في :

- رواية الراوي "الأستاذ" عن تلميذته وحبيبته مريم في سرد متدفق بالأحاسيس، تارة أحاسيس ألم، وتارة أخرى أحاسيس أمل، مصعدا من صورتها لتصبح رمزا معادلا للوطن (الجزائر العاصمة).

- رواية مريم عن نفسها وعن ماضيها من خلال حكايتها عن قصة أمها وابيها، وعلاقة أمها بالعباس (العم و الأب بالتبني)، والافصاح عن مكوناتها الداخلية من أحلام وآمال، واسترجاعها لزواجها الأول وطريقة اغتصابها.

استرجاع قصة الام (أم مريم) على لسان ابنتها عن فشل زواجها الثاني ومعاناتها، وشعورها بالذنب من زواجها مجبرة من أخ زوجها الأول، وعدم تحملها مدى القرب بينهما، لحسن أب مريم يعود إلى الوطن لحظة الاستقلال، فيغتال من طرف منظمة سرية O.A.S

وللحكاية وجه آخر على أنه انتحر احتجاجا ورفضا على تزويج أهله زوجته من أخيه العباس.

العباس (الأب والعم في آن واحد)، إن هذا الزوج كان لا يطيق بيته وعائلته خاصة مريم، لأنها تذكره بعجزه وحالة عقمه، فيحس بالهزيمة بعد أن اكتشف أم مريم ابنة أخيه، مما جعلت حالته تدهور أكثر فأكثر، كذلك تذكر مريم بعقدة ذنب اتجاه انتحار أخيه، فيعتبر نفسه مسؤولا بالدرجة الأولى عن انتحاره.

رواية الأستاذ على نفسه واحساسه الفظيع بفقدان القيمة للوجود، وشعوره العميق بالوحدة والعجز، وشعوره باللاجدوى و الاهانة، وذلك حين بلقي به في المزبلة مع النفايات. كما تحدث في الأخير عن تواجده على الجسر وهو في أهبة الاستعداد للانتحار بعدما أن تخلص من هويته وانتمائه لهذا العالم، وهنا يكون الاسترجاع قوي لمرحلة الطفولة، وحضور قوي لوالده الشهيد.

أناطوليا أستاذة وصديقة مريم تفجع للحالة التي وصلت اليها الجزائر، والمأساة التي وصل إليها الفن والثقافة التي أصبحت هدفا للصراعات السياسية، وألمها وتحصرها على إصابة مريم برصاصة طائشة في الرأس بعد ليلة طويلة ومرعبة من الاشتباكات الأهلية في حيها.

ويمكن تلخيص الرواية في النقاط التالية:

1-إصابة مريم برصاصة طائشة في الرأس.

2-إغلاق قاعات العرض، والمعاهد والاندية وغيرها، وموت البلاد ثقافيا.

3-ترحيل أناطوليا إلى بلادها عنوة.

4-موت مريم رغم ولعها الكبير للحياة والرقص بعد أن قدمت آخر رقصة باليه لها(رقصة شهرزاد)، أمام أستاذتها أنطاليا.

5-تخلص الأستاذ من الكتابة كهوية ثقافية بتدمير فصول الرواية.

6-تخلصه من الهوية، بطاقة التعريف الوطني، جواز السفر.

7-انتحار الراوي الأستاذ من فوق الجسر احتجاجا على انحلال البلاد.

إن ما يقوم به الراوي في سيدة المقام ليس حفرا في ذاكرة وتأكيد حضورها القوي، لأنها تعبر عن الوجه الآخر للتاريخ ... التاريخ المنسي الغير مدون عن الجزائر.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

السنة النبوية الشريفة

المراجع:

1. إبراهيم أحمد الزيّات وآخرون ، معجم الوسيط ، مجمع اللغة العربية ، باب الميم ، مادة محن، ج 3، مكتبة المشكاة الإسلامية .
2. إبراهيم أعراب،الإسلام السياسي والحداثة، إفريقيا شرق، الدار البيضاء، 2000م.
3. ابن منظور ، لسان العرب ، ج 10 ، ط3، دار صادر ، بيروت، 2004م.
4. أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور ، لسان العرب ، باب الميم ، مادة محن ، جزء 14، دار صادر ، بيروت ، 2003م .
5. أحمد طالب الإبراهيمي ، المعضلة الجزائرية الأزمة والحل 1989– 1999، شركة دار الأمة للطباعة والنشر ، ط4، الجزائر، 1999م.
6. إدريس بودبية، الرؤية والبنية في روايات الطاهر وطار ، منشورات جامعة منتوري ، قسنطينة، ط1، 2000م.
7. إلياس بوكراع، الرعب المقدّس،الجزائر.
8. أمل اليازجي ومحمد عزيز شكري ، الإرهاب الدولي والنظام الراهن، دار الفكر سوريا، 2002م.
9. آمنة بلعلي ، المتخيل في الرواية الجزائرية من المتماثل إلى المختلف، دار الأصل للنشر والتوزيع، د ط ، د ت .
10. أمين زاوي ، صورة المثقف في الرواية المغاربية المفهوم والممارسة، دار راجي، 2009م.
11. باغي عبد الرحمان ، البحث عن إيقاع جديد في الرواية العربيّة، دار الفرابي، بيروت، د.ط ،1999 م .

12.بوشوشة بن جمعة ، سردية التجريب وحداثة السردية في الرواية الجزائرية، المطبعة المغاربية للطباعة والنشر، ط1، تونس ، 2005م.

13.ثامر إبراهيم الجهماني، مفهوم الإرهاب في القانون الدولي ، دار الكتاب العربي ، دار حوران ، الجزائر، سوريا، ط1و 2002م.

14.حسين خمري ، فضاء المتخيل مقاربات في الرواية ، منشورات الاختلاف ، ط1، 2002م.

15.رشيد بوجدرة ، عقبات في طريق تيميمون ، دار الاجتهاد، 1994م.

16.زهور كرام ، الرواية العربية وزمن التكون من منظور سياقي.

17.زهور ونيسي ، عبر الزهور والأشواك مسار المرأة ، دار القصبة للنشر ، الجزائر ، د ط .

18.السعيد بوشعير، النظام السياسي الجزائري، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، ط2، 1993.

19.سلمان كامد، الموضوع والسرد، مقاربة تكوينية في الأدب القصصي (دراسة لأدب مقتدى عيسى صقر فنية وموضوعاتية)، دار الكندي، أربد، الأردن، د ط، 2002م.

20.الشيخ سليمان بشنون ،الأزمة الجزائرية وأبعادها ، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، د ت ، د ط .

21.الطاهر وطار ، العشق والموت في الزمن الحراشي – الكتاب الثاني– ، دار الرشد للطباعة والنشر ، ط1، سنة 1980م.

22.عامر مخلوف ، الكتابة لحظة حياة ، مقالات في القصة والرواية والشعر ونقد النقد ، دار الحكمة ، الجزائر.

23.عامر مخلوف ، واقع الرواية من رواية الواقع ، الأدب الايديولوجي في رواية التسعينات، أعمال الملتقى الخامس للنقد الأدبي في الجزائر، 2008م.

24.عبد الحميد عقار، الرواية المغاربية، تحولات اللغة والخطاب، شركة النشر والتوزيع المدارس، ط1،الدار البيضاء، 2000م.

25.عبد اللطيف جنّي ، الرواية الجزائرية بين الأزمة وفاعلية الكتابة ضمن أعمال الملتقى الوطني الثاني في الأدب الجزائري، بين الخطاب ووعي الكتابة 2009م، دار هومة.

26.عبد الله شطاح ، مدارات الرعب (فضاء العنف في روايات العشرية السوداء) ، مطبعة ألف للاتصال والإشهار، الجزائر، 2014.

27.عبد المالك مرتاض ، واد الظلام ، دار الغرب ، ط1، وهران– الجزائر ، 2005م.

28.علال سنقوقة، المتخيل و السلطة في علاقة الرواية الجزائرية بالسلطة السياسية، منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر، 2000م.

29.علي حرب ، أزمنة الحداثة الفائقة ، الإرهاب الإصلاح، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، 2005م.

30.علي هارون ، مذكرات اللواء خالد نزار، دار النشر الشهاب، باتنة ، الجزائر ، 1999م.

31.عمر بن قيضة ، في الأدب الجزائري الحديث، تاريخاً وانواعا وقضايا وأعلاماً، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط2. 2009.

32.ماجد موريس إبراهيم ، الإرهاب الظاهرة وأبعادها النفسية ، دار الفرابي ، الجزائر ، ط1، 2008م.

33.مجموعة باحثين ، الصدمات النفسية في الجزائر ، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع.

34.مجموعة من المؤلفين ، الأزمة الجزائرية الخلفيات السياسية والاقتصادية والثقافية، مركز دراسات الوحدة العربية، ط2، بيروت ، 1999م.

35.محمد بلقاسم حسن البهلول، الجزائر بين الأزمة الاقتصادية والسياسية (تشريح وضعية) ، دون وجود دار النشر والبلد ، د ط ، 1993م.

36.محمد عصامي ، في عمق الجحيم (معول الإرهاب يهدم الجزائر) ، ترجمة من طرف المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والاشهار، 2002م.

37.محمد مصايف ، النثر الجزائري الحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر، 1983م.

38.مراد وهبة ومنى بوسنة ، الأصولية والعلمانية في الشرق الأوسط، دار قباء ، القاهرة ،ط1، 1999م.

39.مسعود بوسعدية ، ظاهرة العنف في الجزائر والعنف المتكامل.

40.واسينيا لأعرج،سيدةالمقام– مرثياتاليومالحزين– المؤسسةالوطنيةللفنونالمطبعية، وحدةالرغاية، الجزائر، ط2، 1997 .

المذكرات والأطروحات والمجلات العلمية

41.موضوع العنف في الرواية الجزائرية ، التسعينات أنموذجاً مقاربة سيسيونقدية ، رسالة ماجيستير ، 2006–2007م.

42.مخلوف عامر،أثر الإرهاب في الكتابة الروائية ،مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة و الفنون ،الكويت ،المجلد 28 ،العدد1، سبتمبر 1999.

43.فايزة مصطفى، مقال الأدب الاستعجالي يعود إلى الواجهة ، جريدة الأخبار ، 2001م .

44.إيديولوجية الرواية والحس التاريخي (مقاربة سجاليه للروائي مقتنعا ببطله عبد القادر رابحي ، في الأدب والايديولوجية في رواية التسعينات) .

45.إبراهيم سعدي ، تسعينات الجزائر كنص سردي ، مقال منشور ضمن مجلة الملتقى الدولي السابع، عبد الحميد بن هدوقة للرواية والبحوث.

46.حفناوي بعلي ، هجس الحداثة وإشكالية العنف في رواية جيل الأزمة ، في مجلة الملتقى الدولي الثامن للرواية ، عبد الحميد بن هدوقة ، 2004.

فهرس المحتويات

إهداء

شكر

مقدمة.....أ

الفصل الأول: ماهية أدب المحنة

أولا: نشأة وتطور الرواية الجزائرية 11

1- الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة الفرنسية 11

2- الرواية الجزائرية المكتوبة باللغة العربية..... 13

3- إشكالية المصطلح 17

ثانيا/ مفهوم المحنة 19

1- لغة.....19

2- اصطلاحا.....20

3- المحنة المرحلة التاريخية وتجلياتها في النص الروائي 22

ثالثا/ أسباب الأزمة وعوامل ظهورها 27

1- ماهية الإرهاب 28

2- الأصولية والتطرف 32

3- أحداث أكتوبر 1988م 36

4- بداية العنف المسلح في الجزائر 38

5- إلغاء المسار الانتخابي 1991م 38

6- مرحلة نمو وانطلاق العنف الإرهابي 1993- 1994 40

7- مرحلة السيطرة والقوة (1995-1996-1997 41

8- مرحلة بداية تراجع وانشقاق الجماعات الإسلامية 1998-1999-2000 42

الفصل الثاني: تجليات المحنة في رواية سيدة المقام

أولا/ الرواية و الصراع الايديولوجي 45
ثانيا/ الإرهاب 50
ثالثا/ صورة المثقف 55
رابعا/ صورة الموت 59
خامسا/ صورة العنف 61
الخاتمة 64
ملحق 73
قائمة المصادر والمراجع 68
فهرس المحتويات..... 76

ملخص

تم بحمد الله

الملخص:

حملت هذه الرسالة المعنونة بـ أدب الحنة وتجلياته (رواية سيدة المقام أنموذجاً)" في طياتها فصلين, الفصل الأول موسوماً بماهية المحنة والذي تطرقنا فيه إلى مفهوم المحنة وكذا فصلنا في المراحل التي مرت بها الجزائر في محنة التسعينات, وتجلي هذه الأخيرة في النص الروائي الجزائري, والتي كانت بمثابة المرآة العاكسة لهذه الأزمة, أما في فصلها الثاني فقد كانت جانبا تطبيقياً بينا خلاله تجلي المحنة في رواية "سيدة المقام" من خلال أربع تيمات, صورة الإرهاب واغتيال المثقف وكذا صورة العنف والموت, وختمنا الرسالة بـ خاتمة حملت أهم النتائج المتوصل إليها.

الكلمات المفتاحية: الرواية – العنف – واسيني الأعرج – الموت .

Résumé :

Abstrait notre théme intitulé " l'exposition de l'épreuve dans le roman" la maitresse des leux"" de l"auteur Wassini El aaradj. Notre étude est divise en deux chapitres : Le premier chapitre intitulé "la définition de l'épreuve" dans lequel nous avons abordé la définition de l'épreuve, a travers les phases douleureuses qu'à connu L'Algérie durant les années quatre

Ces événements tragiques ont considérablement marqué le texte narratif Algérien, et pu refliété les profondeurs de cette crise,

Concemant le deuxiéme chapitre, qui était plus pratique, on l'a consacré à la fragmentation spécifique de cette épreuve du point de vue du roman" la maitresse des leux " en quatre aspects : L'image du terrorisme , l'assassinat de l'intellectuel, ainsi que la Violnce et la mort, A la fin de notre travail , on a conclu avec les résultats les plus importants qu'on a pu dduire.

Mots-clé : Roman – Violence – Wassini El aaradj – Mort.